

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

46- سورة الاحقاف- مكية - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ تَتْلُو فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرُونَ مِنْ عَلِيمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾

{وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا} ظهر لهم يوم القيامة عقوبات أعمالهم {وَحَاقَ بِهِمْ} نزل {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}

نزل بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به و بوقوعه و بمن جاء به 33

{وَقِيلَ الْيَوْمَ} نترككم في العذاب-نعاملكم معاملة الناسي لكم في النار

{نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} فإن الجزاء من جنس العمل

{وَمَاْوَنُكُمْ النَّارُ} مقركم و مصيركم {وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} ينصرونكم من عذاب الله و يدفعون عنكم عقابه 34

{ذَلِكُمْ} الذي حصل لكم من العذاب

{ب} سبب {بِأَنَّهُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا} مع أنها موجبة للجد و الاجتهاد و تلقيها بالسرور و الاستبشار و الفرح.

{وَوَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} بزخارفها ولذاتها وشهواتها فاطمأنتم إليها و عملتم لها و تركتم العمل للدار الباقية.

{فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ} و لا يمهلون و لا يردون إلى الدنيا ليعملوا صالحا-لا يطلب منهم

العُتْبَى بل يعذبون بغير حساب و لا عتاب كما تدخل طائفة الجنة بغير حساب و لا عذاب 35

{فَلِلَّهِ الْحَمْدُ} كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه {رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فضل و كبرياء الله

أي: له الحمد على ربوبيته لسائر الخلائق حيث خلقهم و رباهم و أنعم عليهم بالنعم الظاهرة و الباطنة 36

{وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} له الجلال و العظمة و المجد. فالحمد فيه الشاء على الله بصفات الكمال

و محبته تعالى و إكرامه والكبرياء فيها عظمتة و جلاله و العبادة مبنية على ركنين :- 1- محبة الله 2- و الذل له و هما ناشئان عن العلم بمحامد الله و جلاله و كبريائه-

*مسلم 2620- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- الْعِزُّ إِزَارُهُ وَ الْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يَنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ

{وَهُوَ الْمَزِيدُ} القاهر لكل شيء **{الْحَكِيمُ}** {الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة و مصلحة و لا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة و منفعة 36}

46- تفسير سورة الأحقاف- و هي مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

(حَمَّ 1 تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) هذا ثناء منه تعالى على كتابه العزيز و تعظيم له و في ضمن ذلك

اثبات القدرة الالهية
و مناقشة المشركين 12-1

إرشاد العباد إلى الاهتداء بنوره و الإقبال على تدبر آياته و استخراج كنوزه.

و لما بين إنزال كتابه المتضمن للأمر و النهي ذكر خلقه السماوات و الأرض

فجمع بين الخلق و الأمر **{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}** [الأعراف: 54]

كما قال تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ}** [الطلاق: 12]

و كما قال تعالى: **{يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ}** [النحل: 2]

فالله تعالى هو الذي خلق المكلفين و خلق مساكنهم و سخر لهم ما في السماوات و ما في الأرض

ثم أرسل إليهم رسله و أنزل عليهم كتبه و أمرهم و نهاهم

و أخبرهم أن هذه الدار دار أعمال و ممر للعمال لا دار إقامة لا يرحل عنها أهلها

و أنهم سينتقلون منها إلى دار الإقامة و القرار و موطن الخلود و الدوام

و إنما أعمالهم التي عملوها في هذه الدار سيجدون ثوابها في تلك الدار كاملا موفرا.

و أقام تعالى الأدلة على تلك الدار وأذاق العباد نموذجا من الثواب والعقاب العاجل ليكون أدعى لهم إلى طلب

المحسوب و الهرب من المرهوب 2

و لهذا قال هنا: **{مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ}** لا عبثا ولا سدى بل ليعرف العباد عظمة خالقهما

و يستدلوا على كماله و يعلموا أن الذي خلقهما على عظمهما قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم للجزاء

و أن خلقهما ولا بقاءهما مقدر إلى **{وَأَجَلٍ مُّسَمًّى}** معلوم عنده

○ فلما أخبر بذلك -و هو أصدق القائلين و أقام الدليل وأثار السبيل أخبر -مع ذلك-

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ} {أن طائفة من الخلق قد أبوا إلا إعراضا عن الحق و صدوفا عن دعوة الرسل

و أما الذين آمنوا فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم

و تلقوها بالقبول والتسليم و قابلوها بالانقياد و التعظيم ففازوا بكل خير و اندفع عنهم كل شر 3

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } لهؤلاء الذين أشركوا بالله أوثانا وأندادا لا تملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا قل لهم -مبيناً عجز أوثانهم و أنها لا تستحق شيئاً من العبادة-:

{ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ }

هل خلقوا من أجرام السماوات والأرض شيئاً؟

هل خلقوا جبلاً؟ هل أجروا أنهاراً؟ هل نشروا حيواناً؟ هل أنبتوا أشجاراً؟

هل كان منهم معاونة على خلق شيء من ذلك؟

لا شيء من ذلك بإقرارهم على أنفسهم فضلاً عن غيرهم

فهذا دليل عقلي قاطع على أن كل من سوى الله فعبادته باطلة

ثم ذكر انتفاء الدليل النقلي فقال: **{ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا }** الكتاب يدعو إلى الشرك

{ أَوْ أَتُكْفَرُونَ مِنْ عَلِيمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } موروث عن الرسل يأمر بذلك 4

من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك

بل نجزم و نتيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم و نهوا عن الشرك به و هي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم

قال تعالى: **{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ }** [النحل: 36]

و كل رسول قال لقومه: **{ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ }** [الأعراف: 59]

-فعلم أن جدال المشركين في شركهم غير مستندين فيه على برهان و لا دليل

-و إنما اعتمدوا على ظنون كاذبة و آراء كاسدة و عقول فاسدة.

يدلك على فسادها استقرار أحوالهم و تتبع علومهم و أعمالهم و النظر في حال من أفنوا أعمارهم بعبادته

هل أفادهم شيئاً في الدنيا أو في الآخرة؟

و لهذا قال تعالى: **{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ }**

مدة مقامه في الدنيا لا ينتفع به بمشقال ذرة

{ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ }

لا يسمعون منهم دعاء و لا يجيبون لهم نداء هذا حالهم في الدنيا و يوم القيامة يكفرون بشركهم 5

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِتَنَادٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِ أَنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ۖ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحَّمَهُمْ هَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

{وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ} يلعن بعضهم بعضا و يتبرأ بعضهم من بعض

{وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} كما قال الله {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ

لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [العنكبوت: 17] 6

{وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ} علي المكذبين {ءَايَتُنَا بِتَنَادٍ} بحيث تكون على وجه لا يمتري بها و لا يشك في وقوعها

و حقها لم تفدهم خيرا بل قامت عليهم بذلك الحجة و يقولون من إفكهم و افتراءهم

{ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ }

أى: ظاهر لا شك فيه و هذا من باب قلب الحقائق الذي لا يروج إلا على ضعفاء العقول و إلا فبين الحق الذي

جاء به الرسول ﷺ و بين السحر من المنافاة و المخالفة أعظم مما بين السماء والأرض

و كيف يقاس الحق -الذي علا وارتفع ارتفاعا على الأفلاك و فاق بضوئه و نوره نور الشمس وقامت الأدلة

الأفقية والنفسية عليه و أقرت به و أذعنت أولو البصائر و العقول الرزينة- بالباطل الذى هو السحر الذى لا

يصدر إلا من ضال ظالم خبيث النفس خبيث العمل؟!

فهو مناسب له و موافق لحاله وهل هذا إلا من البهرجة؟

أى: افتري محمد هذا القرآن من عند نفسه فليس هو من عند الله 7

{قُلْ} لهم: {إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ} فالله عني قادر و بما تفيضون فيه عالم فكيف لم يعاقبني على افترائي الذي زعمتم؟

{أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} فهل تملكون لي من الله شيئاً إن أردني الله بضر أو أردني برحمة

*كقوله {قُلْ إِنْ لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} 22 {إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ} [الجن: 22- 23]

* أي هو تعالى أعلم بما تخوضون فيه من القدح و الطعن في و في القرآن

{هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ}

فلو كنت متقولاً عليه لأخذ مني باليمين و لعاقبني عقاباً يراه كل أحد لأن هذا أعظم أنواع الافتراء لو كنت متقولاً

{وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ثم دعاهم إلى التوبة مع ما صدر منهم من معاندة الحق و مخاصمته

فقال: أي فتوبوا إليه و أقلعوا عما أنتم فيه يغفر لكم ذنوبكم و يرحمكم فيوفقكم للخير و يشيكم جزيل الأجر.

كالاية {وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} 5 قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: 5 6] 8

{قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ} أي: لست بأول رسول جاءكم حتى تستغربوا رسالتي و تستنكروا دعوتي

فقد تقدم من الرسل و الأنبياء من وافقت دعوتي دعوتهم فلا شيء تنكرون رسالتي؟

{وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ}

أي: لست إلا بشراً ليس بيدي من الأمر شيء و الله تعالى هو المتصرف بي و بكم الحاكم علي و عليكم

{إِنْ أَنْجِ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ} و لست الآتي بالشيء من عندي {وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ}

فإن قبلتم رسالتي وأجبت دعوتي فهو حظكم و نصيبكم في الدنيا و الآخرة و إن رددتم ذلك علي فحسابكم على الله و قد أنذرتكم و من أنذر فقد أعذر.

و قَوْلُهُ: {وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:-

نَزَلَ بَعْدَهَا {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الْفَتْح: 2] .

وَهَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَ الْحَسَنُ وَ قَتَادَةُ: إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}

قَالُوا: وَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: هَذَا قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا هُوَ فَاعِلٌ بِنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ} [الْفَتْح: 5] .

هَكَذَا قَالَ وَ الَّذِي هُوَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: هَنِيئًا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا لَنَا؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. وَ قَالَ الضَّحَّاكُ: {وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} :

مَا أَدْرِي بِمَاذَا أُوْمَرُ وَ بِمَاذَا أُنْهَى بَعْدَ هَذَا؟

وَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي قَوْلِهِ: {وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ}

قَالَ: أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَمَعَاذَ اللَّهِ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ وَلَكِنْ قَالَ:-
لَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بِكُمْ فِي الدُّنْيَا أُخْرِجُ كَمَا أُخْرِجَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي؟
أَمْ أُقْتَلُ كَمَا قُتِلَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي؟

وَلَا أَدْرِي أَيُخَسَفُ بِكُمْ أَوْ تُرْمَوْنَ بِالْحِجَارَةِ؟
وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي عَوَّلَ عَلَيْهِ ابْنُ جَرِيرٍ وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ
وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ ﷺ فَإِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ جَازِمٌ أَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ هُوَ وَمَنِ اتَّبَعَهُ
وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَدْرِ مَا كَانَ يَتَوَلَّى إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَأَمْرُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ إِلَى مَاذَا:-

أَيُؤْمِنُونَ أَمْ يَكْفُرُونَ فَيُعَذِّبُونَ فَيَسْتَأْصِلُونَ بِكُفْرِهِمْ 9

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ }

أى: أخبروني لو كان هذا القرآن من عند الله و شهد على صحتة الموفقون من أهل الكتاب الذين عندهم من الحق ما يعرفون أنه الحق فأمنوا به و اهتمدوا فتطابقت أنباء الأنبياء و أتباعهم النبلاء و استكبرتم أيها الجهلاء الأغبياء فهل هذا إلا أعظم الظلم و أشد الكفر؟

*البخاري 3812 - عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: " مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:
لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ " قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ
{ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ } [الأحقاف: 10] الْآيَةُ

قَالَ: «لَا أَدْرِي قَالَ مَالِكُ الْآيَةِ أَوْ فِي الْحَدِيثِ»

فان هذه الآية مكية نزلت قبل اسلام عبد الله بن سلام و هى كقوله

{ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ } [القصص: 53]

{ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّةً 10 وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا }

[الإسراء: 107 108]

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } و من الظلم الاستكبار عن الحق بعد التمكن منه.

*الصحيح المسند من اسباب النزول عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم فكروها دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: " يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه " فقال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد ثم رد عليهم فلم يجبه أحد ثم ثلث فلم يجبه أحد

فقال: " أبیتم فوالله إني لأنا الناحش و أنا العاقب و أنا النبي المصطفى آمنتم أو كذبتم "

ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد.

قال: فأقبل. فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا:

وَاللَّهُ مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْكَ وَكُنَا أَفْقَهُ مِنْكَ وَكُنَا مِنْ أَبِيكَ قَبْلَكَ وَكُنَا مِنْ جَدِّكَ قَبْلَ أَبِيكَ.

قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ لَهُ بِاللَّهِ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي التَّوْرَةِ قَالُوا:

كَذَبْتَ ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ وَقَالُوا فِيهِ شَرًّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

كَذَبْتُمْ لَنْ يَقْبَلَ قَوْلُكُمْ أَمَّا أَنَا فَتُتْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَتْنِيْتُمُوْلَمَا آمَنَ أَكْذَبْتُمْ وَهُوَ قُلْتُمْ فِيهِ مَا قُلْتُمْ فَلَنْ يَقْبَلَ قَوْلُكُمْ". قَالَ:

فَخَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ:

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [الاحقاف 10] 10

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا} أى: قال الكفار بالحق معاندين له و رادين لدعوته:

{لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} أى: ما سبقنا إليه المؤمنون أى: لكننا أول مبادر به وسابق إليه

و هذا من البهرجة في مكان فأى دليل يدل على أن علامة الحق سبق المكذبين به للمؤمنين؟

هل هم أذكى نفوسا؟ أم أكمل عقولا؟ أم الهدى بأيديهم؟

و لكن هذا الكلام الذي صدر منهم يعزون به أنفسهم بمنزلة من لم يقدر على الشيء ثم طفق يذمه
أى: قَالُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ: لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ خَيْرًا مَّا سَبَقْنَا هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ .

يَعْنُونَ بِلَا وَ عَمَارًا وَ صُهِيبًا وَ حَبَابًا وَ أَشْبَاهَهُمْ وَ أَقْرَانَهُمْ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَ الْعَبِيدِ وَ الْإِمَاءِ
وَ مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَجَاهَةً وَ لَهُ بِهِمْ عِنَايَةً.
وَ قَدْ غَلِطُوا فِي ذَلِكَ غَلْطًا فَاحِشًا وَ أَخْطَئُوا خَطَأً بَيِّنًا

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا} [الأنعام: 53]

أى: يَتَعَجَّبُونَ: كَيْفَ اهْتَدَى هَؤُلَاءِ دُونَنَا وَ لِهَذَا قَالُوا: {لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ}

وَ أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ فَيَقُولُونَ فِي كُلِّ فِعْلٍ وَ قَوْلٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الصَّحَابَةِ: (((هُوَ بِدْعَةٌ)))
لأنَّه لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَزَكُّوا خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا وَ قَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا

و لهذا قال:- {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسِيْقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ }

أى: هذا السبب الذي دعاهم إليه أنهم لما لم يهتدوا بهذا القرآن

و فاتهم أعظم المواهب و أجل الرغائب قدحوا فيه بأنه ((كذب)) و هو الحق الذي لا شك فيه ولا امتراء

يعتريه 11

{ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى } الذي قد وافق الكتب السماوية خصوصا أكملها و أفضلها بعد القرآن

و هي التوراة التي أنزلها الله على موسى

{إِمَامًا وَرَحْمَةً} أى: يقتدى بها بنو إسرائيل و يهتدون بها فيحصل لهم خير الدنيا والآخرة.

{وَهَذَا} القرآن {كُتِبَ مُصَدِّقٌ} للكتب السابقة شهد بصدقها و صدَّقها بموافقتها لها و جعله الله

{لِسَانًا عَرَبِيًّا} ليسهل تناوله و يتيسر تذكره

{يُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا} أنفسهم بالكفر و الفسوق و العصيان إن استمروا على ظلمهم بالعذاب الويل

{وَبُشِّرَى لِلْمُحْسِنِينَ} و يبشر المحسنين في عبادة الخالق و فى نفع المخلوقين بالشواب الجزيل في الدنيا

و الآخرة و يذكر الأعمال التي ينذر عنها و الأعمال التي يبشر بها 12

جزء المتقين 13-14

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ}

أى: إن الذين أقروا بربهم و شهدوا له بالوحدانية و التزموا طاعته و داموا على ذلك

و {أَسْتَقْلَمُوا} مدة حياتهم

{فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} من كل شر أمامهم (فيما يستقبلون)

{وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما خلّفوا وراءهم 13

{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} أى: أهلها الملازمون لها الذين لا يبغون عنها حولا و لا يريدون بها بدلا

{خَالِدِينَ فِيهَا جزاء بما كانوا يعملون} من الأمان بالله المقتضى للأعمال الصالحة التي استقاموا عليها 14

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَتْهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا^٤
 حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
 وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَلِإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ
 أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾
 وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِ لَكُمْ مَا أَتَدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلُكُ آيَمِنُ
 إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ
 مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا لِيُوقِفَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١٩﴾
 وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذَهَبْتُمْ طَبِيبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
 بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

الوصية بالوالدين 15-16

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا)

قوله {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} مِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا
 تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا {الإسراء: 23}

*الطيالسي 205 - عن: مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ... قَالَ: وَ قَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ فَلَا آكُلُ
 طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِاللَّهِ فَاُمْتَنَعْتُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّىٰ جَعَلُوا يَشْجُرُونَ فَاهَا بِالْعَصَا
 وَ نَزَلَتْ {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} [العنكبوت: 8]

هذا من لطفه تعالى بعباده و شكره للوالدين أن وصى الأولاد و عهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بد:-
 القول اللطيف و الكلام اللين و بذل المال و النفقة و غير ذلك من وجوه الإحسان.

(حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَتْهُ.)

ثم نبه على ذكر السبب الموجب لذلك فذكر ما تحملته الأم من ولدها وما قاسته من المكاره وقت حملها
 ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة ثم مشقة الرضاع و خدمة الحضانة
 -و ليست المذكورات مدة يسيرة ساعة أو ساعتين و إنما ذلك مدة طويلة قدرها

{ثَلَاثُونَ شَهْرًا} للحمل تسعة أشهر و نحوها و الباقي للرضاع هذا هو الغالب.

و يستدل بهذه الآية مع قوله:- {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ} أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة
 الرضاع -وهي سنتان- إذا سقطت منها السنتان بقي ستة أشهر مدة للحمل

{حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ} أي: نهاية قوته و شبابه و كمال عقله

{وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيْ وَفَقِّرِيْ}

{أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ} أى: نعم الدين و نعم الدنيا و شكره بصرف النعم في طاعة مسديها و موليتها و مقابلته منته بالاعتراف و العجز عن الشكر و الاجتهاد في الشاء بها على الله و النعم على الوالدين نعم على أولادهم وذريتهم لأنهم لا بد أن ينالهم منها و من أسبابها و آثارها خصوصا نعم الدين فإن صلاح الوالدين بالعلم و العمل من أعظم الأسباب لصلاح أولادهم.

{وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} تتقبله عزي - بأن يكون جامعا لما يصلحه سالما مما يفسده فهذا العمل الذي يرضاه الله و يقبله و يثيب عليه.

{وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي} لما دعا لنفسه بالصلاح دعا لذريته أن يصلح الله أحوالهم و ذكر أن صلاحهم يعود نفعه على والديهم لقوله: {وَأَصْلِحْ لِي}

{لَئِنْ ثَبَّتُ إِلَيْكَ} من الذنوب و المعاصي و رجعت إلى طاعتك {وَلِإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} 15

{أُولَئِكَ} الذين ذكرت أوصافهم {الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا} و هو الطاعات لأنهم يعملون أيضا غيرها. {وَنَجَّوْهُمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ} في جملة {فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ} فحصل لهم الخير والمحسوب و زال عنهم الشر و المكروه.

{وَعَدَ الصَّادِقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ}

أى: هذا الوعد الذي وعدناهم هو وعد صادق من أصدق القائلين الذي لا يخلف الميعاد 16
*لما ذكر تعالى حال الصالح البار لوالديه ذكر حالة العاق و أنها شر الحالات فقال:-

{وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَلِّيَنِي} إذ دعواه إلى الإيمان بالله و اليوم الآخر و خوفاه الجزاء.

و هذا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما أن يدعواه إلى ما فيه سعادته الأبدية و فلاحه السرمدى فقابلهما بأقبح مقابلة

جزاء العاق و المستكبرين 17-20

فقال: {أَفِي لَكُمْ} نتنأ و قبحاً لكما-أى: تبا لكما و لما جئتما به.

-ثم ذكر وجه استبعاده و إنكاره لذلك فقال: {أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ} من قبري إلى يوم القيامة

{وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي}

على التكذيب و سلفوا على الكفر و هم الأئمة المقتدى بهم لكل كفور و جهول و معاند؟

{وَهُمَا} أى: والداه {يَسْتَعْثِفَانِ اللَّهَ} عليه و يقولان له:-

{وَيْلَكَ ءَايَمِنَ} أى: يبذلان غاية جهدهما و يسعيان في هدايته أشد السعى

حتى إنهما -من حرصهما عليه- أنهما يستغيثان الله له استغاثة الغريق
و يسألانه سؤال الشريك و يعذلان ولدهما و يتوجعان له و يبينان له الحق فيقولان:

{إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} ثم يقيمان عليه من الأدلة ما أمكنهما و ولدهما لا يزداد إلا عتوا و نفورا
و استكبارا عن الحق و قدحا فيه

{فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} أى: إلا منقول من كتب المتقدمين ليس من عند الله و لا أوحاه الله إلى
رسوله و كل أحد يعلم أن محمدا ﷺ أمي لا يكتب و لا يقرأ و لا تعلم من أحد فمن أين يتعلمه؟
و أنى للخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا ؟ **17**

{أُولَئِكَ} بهذه الحالة الذميمة **{الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ}** أى: حقت عليهم كلمة العذاب

{فِي} جملة **{أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِّ وَالْإِنْسِ}** على الكفر و التكذيب

{لِأَنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ} و الخسران فوات رأس مال الإنسان و إذا فقد رأس ماله فالأرباح من باب أولى
و أخرى فهم قد فاتهم الإيمان و لم يحصلوا على شيء من النعيم و لا سلموا من عذاب الجحيم **18**
{وَلِكُلٍّ} من أهل الخير و أهل الشر

{دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا} كل على حسب مرتبته من الخير و الشر و منازلهم في الدار الآخرة على قدر أعمالهم
و لهذا قال: **{وَلِيُوقِفَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** بأن لا يزداد في سيئاتهم و لا ينقص من حسناتهم **19**

{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ} يذكر تعالى حال الكفار عند عرضهم على النار حين يوبخون و يقرعون

فيقال لهم: **{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا}**

حيث اطمأنتم إلى الدنيا و اغتررتم بلذاتها و رضيتم بشهواتها و ألهتكم طيباتها عن السعي لآخرتكم
و تمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من آخرتكم

{بِهَا فَاَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}

الخزي و الهوان-أى: العذاب الشديد الذي يهينكم و يفضحكم بما كنتم تقولون على الله غير الحق

{بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} أى: تنسبون الطريق الضالة التي أنتم عليها إلى الله و إلى حكمه

و أنتم كذبة في ذلك **{وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ}** أى: تتكبرون عن طاعته

فجمعوا بين قول الباطل و العمل بالباطل و الكذب على الله بنسبته إلى رضاه و القدح في الحق و الاستكبار

عنه فعوقبوا أشد العقوبة **20**

وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۖ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ
 إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفَكِّكَ عَنْ ءَاهِتِنَا فَإِنَّا بِمَا نَعُدُّكَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾
 قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ۚ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا بَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ
 قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا
 فَأَصْبَحُوا لَا يَرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا
 وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً ۖ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ
 إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ
 وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلَهَآ
 بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٢٨﴾

قصة هود 21-28

{وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ} إلى آخر القصة أى: {وَأَذْكُرْ} بالثناء الجميل

{أَخَا عَادٍ} هو هود عليه السلام حيث كان من الرسل الكرام الذين فضلهم الله تعالى بالدعوة إلى دينه و إرشاد الخلق إليه
 {إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ} و هم عاد {بِالْأَحْقَافِ} في منازلهم المعروفة بالأحقاف و هى: الرمال الكثيرة في أرض اليمن.
 {وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} فلم يكن بدعا منهم و لا مخالفا لهم قائلا لهم:-
 {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} فأمرهم بعبادة الله الجامعة لكل قول سديد و عمل حميد و نهاهم عن الشرك و التنديد
 {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} و خوئهم-إن لم يطيعوه- العذاب الشديد فلم تغد فيهم تلك الدعوة 21
 {قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفَكِّكَ عَنْ ءَاهِتِنَا} {وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ} أى: ليس لك من القصد و لا معك من الحق إلا أنك حسدتنا على آلهتنا فأردت أن تصرفنا عنها.

{فَأِنَّا بِمَا نَعُدُّكَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} و هذا غاية الجهل و العناد 22

{قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ} فهو الذي بيده أزمة الأمور و مقاليدها و هو الذي يأتيكم بالعذاب إن شاء.

{وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ} أى: ليس علي إلا البلاغ المبين

{وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا بَجْهَلُونَ} فلذلك صدر منكم ما صدر من هذه الجرأة الشديدة 23

فأرسل الله عليهم العذاب العظيم و هو الريح التي دمرتهم و أهلكتهم و لهذا قال:-

{فَلَمَّا رَأَوْهُ} أى: العذاب

{عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ}

أى: معترضا كالسحاب قد أقبل على أوديتهم التي تسيل فتسقي نوابتهم و يشربون من آبارها و غدرانها.

{قَالُوا} مستبشرين:- {هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرٌ} أى: هذا السحاب سيمطرنا.

قال تعالى: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ} أى: هذا الذي جنيتم به على أنفسكم حيث قلتم:

{فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ} آية 22

{رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} 24

{تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ} تمر عليه من شدتها و نحسها. فسلطها الله عليهم

{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَّخْلٍ خَاوِيَةٍ} [الحاقة: 7]

{بِأَمْرِ رَبِّهَا} أى: بإذنه و مشيئته

{فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ} قد تلفت مواشيهم و أموالهم و أنفسهم.

{كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} بسبب جرمهم و ظلمهم.

*صحيح البخاري :-4829 - عن عائشة: وَ كَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرَحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ وَ أَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَوَاهِيَةُ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرَّيْحِ وَ قَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: (هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرٌ)

هذا مع أن الله تعالى قد أدر عليهم النعم العظيمة فلم يشكروه و لا ذكروه 25

و لهذا قال: {وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ}

أى: مكناهم في الأرض يتناولون طبياتها و يتمتعون بشهواتها

و عمرناهم عمرا يتذكر فيه من تذكر و يتعظ فيه المهتدى

أى: و لقد مكنا عادا كما مكناكم يا هؤلاء المخاطبون

أى: فلا تحسبوا أن ما مكناكم فيه مختص بكم و أنه سيدفع عنكم من عذاب الله شيئا بل غيركم أعظم منكم

تمكيننا فلم تغن عنهم أموالهم و لا أولادهم و لا جنودهم من الله شيئا.

{فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْئِدَةً}

أى: لا قصور في أسماعهم و لا أبصارهم و لا أذهانهم حتى يقال إنهم تركوا الحق جهلا منهم و عدم تمكن من

العلم به و لا خلل في عقولهم و لكن التوفيق بيد الله.

{فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ} لا قليل و لا كثير و ذلك بسبب أنهم

{إِذْ كَانُوا يَمْجَدُونَ بِثَابِتِ اللَّهِ} الدالة على توحيده و إفراده بالعبادة.

{وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} أى:

نزل بهم العذاب الذي يكذبون بوقوعه و يستهزئون بالرسل الذين حذروهم منه **26**

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ}

يحذر تعالى مشركي العرب و غيرهم بإهلاك الأمم المكذبين الذين هم حول ديارهم بل كثير منهم في جزيرة العرب كعاد و ثمود و نحوهم

{وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ} و أن الله تعالى صرف لهم الآيات أى: نَوَّعَهَا من كل وجه

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} عما هم عليه من الكفر و التكذيب **27**

فلما لم يؤمنوا أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر و لم تنفعهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء

و لهذا قال هنا: {فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً} ^ط

أى: يتقربون إليهم و يتألهونهم لرجاء نفعهم.

{بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ} فلم يجيبوهم و لا دفعوا عنهم

{وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}

من الكذب الذي يمتنون به أنفسهم حيث يزعمون أنهم على الحق و أن أعمالهم ستنفعهم فضلت و بطلت **28**

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ
 وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَتَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَتَقَوْمَنَا آجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ
 وَيُجْزِكُمْ مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ
 أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ
 عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ
 قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
 وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلُغْ
 فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

*الصحيح المسند من أسباب النزول-الحاكم عن زرّ عن عبد الله رضي الله عنه قال:-
 هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِبَطْنِ نَخْلَةٍ فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَالُوا: أَنْصِتُوا. قَالُوا: صَه.
 وَكَانُوا تِسْعَةَ أَحَدُهُمْ زَوْبَعَةً فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ
 فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا} [الأحقاف: 29] الْآيَةُ إِلَى {ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران 164]

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ} كان الله تعالى قد أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق إنسهم و جنهم

إيمان بعض الجن بالاسلام 29-32

و كان لا بد من إبلاغ الجميع لدعوة النبوة و الرسالة.

فالإنس يمكنه عليه الصلاة و السلام دعوتهم و إنذارهم و أما الجن فصرفهم الله إليه بقدرته و أرسل إليه

{نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا} أى: وصى بعضهم بعضا بذلك

{فَلَمَّا قُضِيَ} و قد وعوه و أثر ذلك فيهم {وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ}

نصحا منهم لهم و إقامة لحجة الله عليهم و قيصهم الله معونة لرسوله صلى الله عليه وسلم في نشر دعوته في الجن 29

لأن كتاب موسى أصل للإنجيل و عمدة لبني إسرائيل في أحكام الشرع

و إنما الإنجيل متمم و مكمل و مغير لبعض الأحكام.

{مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي} هذا الكتاب الذي سمعناه {إِلَى الْحَقِّ} و هو الصواب في كل مطلوب و خبر

{وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} موصل إلى الله و إلى جنته من العلم بالله و بأحكامه الدينية و أحكام الجزاء 30

فلما مدحوا القرآن و بينوا محله و مرتبته دعوهم إلى الإيمان به فقالوا:-

{يَقَوْمَنَا} أى: الذي لا يدعو إلا إلى ربه لا يدعوكم إلى غرض من أغراضه و لا هوى

فيه دلالة على أن محمدا أرسل الي الثقلين و قرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين

(أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ) و إنما يدعوكم إلى ربكم ليشيكم و يزيل عنكم كل شر و مكروه و لهذا قالوا:-

{يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزِّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ}

و إذا أجارهم من العذاب الأليم فما ثم بعد ذلك إلا النعيم فهذا جزاء من أجاب داعي الله 31

{وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ} فإن الله على كل شيء قدير فلا يفوته هارب و لا يغالبه مغالب.

{وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ} أنصار

{أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} و أى ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل

و وصلت إليه النذر بالآيات البينات و الحجج المتواترات فأعرض و استكبر؟ "

*البخاري 773 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقٍ عُكَازٍ وَ قَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَ أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا:

حِيلَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَ أُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ

قَالُوا: مَا حَالُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا

فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَ هُوَ بِنَخْلَةٍ عَامِدِينَ إِلَى سُوقٍ عُكَازٍ وَ هُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَهَذَا الَّذِي حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ

وَ قَالُوا: يَا قَوْمَنَا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا [الجن: 2]

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: {قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ} [الجن: 1] وَ إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ 32

{أَوَلَمْ يَرَوْا} أي: هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد

اثبات البعث و تهديد منكريه 33-35

{أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ} يعجز (يُخْلِقُهُنَّ)

أي: و لم يكرثه خلقهن بل قال لها: "كُونِي فَكَانَتْ بِلَا مُمَانَعَةٍ وَ لَا مُخَالَفَةٍ بَلْ طَائِعَةٌ مُّجِيبَةٌ خَائِفَةٌ وَجَلَّةٌ

(يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّ الْمَوْتَى) أَفَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّ الْمَوْتَى؟

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: {لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر: 57]

وَ لِهَذَا قَالَ: {بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 33

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) أَمَا هَذَا حَقٌّ؟ أَفَسِحَرُ هَذَا؟ أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ؟

هذا استدلال منه تعالى على الإعادة بعد الموت بما هو أبلغ منها
و هو أنه الذي خلق السماوات و الأرض على عظمهما و سعتهما و إتقان خلقهما من دون أن يكثر بذلك
و لم يعى بخلقهن فكيف تعجزه إعادتك بعد موتكم وهو على كل شيء قدير؟
يخبر تعالى عن حال الكفار الفظيعة عند عرضهم على النار التي كانوا يكذبون بها و أنهم يويخون
و يقال لهم: **{الَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ}** فقد حضرتموه و شاهدتموه عيانا؟

{قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا} فاعترفوا بذنبهم و تبين كذبهم

{قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} عذابا لازما دائما كما كان كفركم صفة لازمة 34

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) نُوحٌ وَ إِبْرَاهِيمُ وَ مُوسَى وَ عِيسَى وَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ كُلَّهُمُ ﷺ

ثم أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له و أن لا يزال داعيا لهم إلى الله
و أن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين سادات الخلق أولي العزائم و الهمم العالية الذين عظم صبرهم
و تم يقينهم فهم أحق الخلق بالأسوة بهم و القفو لآثارهم و الاهتداء بمنارهم.
○ فامثل ﷺ لأمر ربه فصبر صبورا لم يصبره نبي قبله حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة و قاموا جميعا
بصدده عن الدعوة إلى الله و فعلوا ما يمكنهم من المعادة و المحاربة و هو ﷺ لم يزل صادعا بأمر الله مقيما
على جهاد أعداء الله صابرا على ما يناله من الأذى

حتى مكن الله له في الأرض و أظهر دينه على سائر الأديان و أمته على الأمم فصلى الله عليه وسلم تسليما.
و قوله: **{وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ}** أى: لهؤلاء المكذبين المستعجلين للعذاب

فإن هذا من جهلهم و حمقهم فلا يستخفك بجهلهم و لا يحملك ما ترى من استعجالهم على أن تدعو الله
عليهم بذلك فإن كل ما هو آت قريب كقوله **{وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهْلُهمْ قَلِيلًا}** [المزمل: 11]

{كَانْتُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ لَمْ يُلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ} فلا يحزنك تمتعهم القليل و هم صائرون إلى العذاب
{بَلَعُ} هذه الدنيا متاعها و شهوتها و لذاتها بلغة منغصة و دفع وقت حاضر قليل.

أو هذا القرآن العظيم الذي بينا لكم فيه البيان التام بلاغ لكم و زاد إلى الدار الآخرة

{فَهَلْ يُهْلِكُ} بالعقوبات {إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ}

الذين لا خير فيهم و قد خرجوا عن طاعة ربهم و لم يقبلوا الحق الذي جاءتهم به الرسل.

لَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ وَ هَذَا مِنْ عَذْلِهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ.

و أعذر الله لهم و أنذرهم فبعد ذلك إذ يستمرون على تكذيبهم و كفرهم نسأل الله العصمة 35

47- سورة محمد-مدنية ﴿س﴾ **اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَقٌّ إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مَتَا بَعْدُ وَإِمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهُمْ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَبِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْهُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّاهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾

هذه الآيات مشتملات على ذكر ثواب المؤمنين و عقاب العاصين و السبب في ذلك و دعوة الخلق إلى

جزاء و أحوال الكفار و المؤمنين 1-3

الاعتبار بذلك فقال: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}

و هؤلاء رؤساء الكفر و أئمة الضلال الذين جمعوا بين الكفر بالله و آياته و الصد لأنفسهم و غيرهم عن سبيل الله التي هي الإيمان بما دعت إليه الرسل و اتباعه.

فهؤلاء {أَضَلَّ} الله {أَعْمَالَهُمْ} أي: أبطلها و أشقاهم بسببها

و هذا يشمل أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق و أولياء الله أن الله جعل كيدهم في نحورهم

فلم يدركوا مما قصدوا شيئا و أعمالهم التي يرجون أن يثابوا عليها أن الله سيحبطها عليهم

و السبب في ذلك أنهم اتبعوا الباطل:- و هو كل غاية لا يراد بها وجه الله من عبادة الأصنام و الأوثان

و الأعمال التي في نصر الباطل لما كانت باطلة كانت الأعمال لأجلها باطلة.

كقوله {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: 23] 1

و أما {وَالَّذِينَ} بما أنزل الله على رسله عموما و على محمد ﷺ خصوصا {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}

بأن قاموا بما عليهم من حقوق الله و حقوق العباد الواجبة و المستحبة.

{وَأَمِنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ}

عطف خاص على عام و هو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته

{كَفَرُوا} {لِلَّهِ} {عَنْهُمْ سَوَاعِتِهِمْ} صغارها و كبارها و إذا كفرت سيئاتهم نجوا من عذاب الدنيا و الآخرة.

{وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}

أى: أصلح دينهم و دنياهم و قلوبهم و أعمالهم و أصلح ثوابهم بتنميته و تركيته و أصلح جميع أحوالهم 2

و السبب في ذلك أنهم: {ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ}

الذي هو الصدق و اليقين و ما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم الصادر (من رَبِّهِمْ)

الذي رباهم بنعمته و دبرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه فصلحت أمورهم

○ فلما كانت الغاية المقصودة لهم متعلقة بالحق المنسوب إلى الله الباقي الحق المبين كانت الوسيلة صالحة باقية باقيا ثوابها.

{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ} حيث بين لهم تعالى أهل الخير و أهل الشر

و ذكر لكل منهم صفة يعرفون بها و يتميزون {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ}

الأمر بالجهاد و ثوابه 4-6

[42: 3]

يقول تعالى -مرشدا عباده إلى ما فيه صلاحهم و نصرهم على أعدائهم:-

{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} في الحرب و القتال (فَضْرِبَ الرِّقَابَ) فاصدقوهم القتال و اضربوا منهم الأعناق

(حَقًّا إِذَا تَخَنَّنْتُمْهُمْ)

حَتَّى تَخْنُوهُمْ و تكسروا شوكتهم و تبطلوا شرهم فإذا فعلتم ذلك و رأيتم الأسر أولى و أصلح

{فَسُدُّوا الرِّبَاطَ}

أى: الرباط و هذا احتياط لأسرهم لئلا يهربوا فإذا شد منهم الوثاق اطمأن المسلمون من هربهم و من شرهم

(فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ) فإذا كانوا تحت أسركم فأنتم بالخيار بين المن عليهم و إطلاقهم بلا مال و لا فداء

(وَأِمَّا بِدَاءٍ)

و إما أن تفدوهم بأن لا تطلقوهم حتى يشتروا أنفسهم أو يشتريهم أصحابهم بمال أو بأسير مسلم عندهم.

و هذا الأمر مستمر {حَقَّقْ نَفْعَ الْحَرْبِ أَوْزَارَهَا} أى: حتى لا يبقى حرب و تبقون في المسألة و المهادنة

فإن لكل مقام مقالا و لكل حال حكما فالحال المتقدمة إنما هي إذا كان قتال و حرب.

كقوله {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} [البقرة: 193]
فإذا كان في بعض الأوقات لا حرب فيه لسبب من الأسباب فلا قتل و لا أسر.

{**ذَلِكَ**} الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين و مداولة الأيام بينهم وانتصار بعضهم على بعض

{**وَلَوْ مَشَاءَ اللَّهِ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ**} فإنه تعالى على كل شيء قدير و قادر على أن لا ينتصر الكفار في موضع واحد أبدا حتى يبيد المسلمون خضراءهم.

{**وَلَكِنْ لِبَلَاءٍ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ**} ليقوم سوق الجهاد و يتبين بذلك أحوال العباد الصادق من الكاذب

و ليؤمن من آمن إيمانا صحيحا عن بصيرة لا إيمانا مبنيا على متابعة أهل الغلبة
فإنه إيمان ضعيف جدا لا يكاد يستمر لصاحبه عند المحن و البلايا.

{**وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**}

لهم ثواب جزيل و أجر جميل و هم الذين قاتلوا من أمروا بقتالهم لتكون كلمة الله هي العليا.

*الترمذى عَنِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: 1- يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ 2- وَ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ 3- وَ يُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ

وَ يَأْمَنُ مِنَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ 4- وَ يُوَضَّعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا

5- وَ يُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَ سَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ 6- وَ يُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ

*مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ»

{**فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ**} فهؤلاء لن يضل الله أعمالهم أى:

لن يحبطها و يبطلها بل يتقبلها وينميها لهم و يظهر من أعمالهم نتائجها في الدنيا و الآخرة **4**

{**سَيَهْدِيهِمْ**} إلى سلوك الطريق الموصلة إلى الجنة

كقوله {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}

[يونس: 9]

{**وَيُضِلُّهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ**} أى: حالهم و أمورهم و ثوابهم يكون صالحا كاملا لا نكد فيه و لا تنغيص بوجه من الوجوه **5**

{**وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ**}

أى: عرفها أولا بأن شوقهم إليها و نعتها لهم و ذكر لهم الأعمال الموصلة إليها التي من جملتها:-

القتل في سبيله و وفقهم للقيام بما أمرهم به و رغبهم فيه ثم إذا دخلوا الجنة عرفهم منازلهم و ما احتوت عليه من:- النعيم المقيم و العيش السليم.

*البخارى-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نَقُّوا وَهَذَّبُوا أُذُنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِأَحَدُهُمْ مِمَّسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدُلُّ مَنَزَلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا (6

شروط النصر للمؤمنين و خذلان
الكافرين و جزاؤهما 7-14

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ الْوَقَاقُ)

{ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ } [الحج: 40]

هذا أمر منه تعالى للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه و الدعوة إليه و جهاد أعدائه و القصد بذلك وجه الله فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم الله

(وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ) أى: يربط على قلوبهم بالصبر و الطمأنينة و الثبات و يصبر أجسامهم على ذلك

و يعينهم على أعدائهم فهذا وعد من كريم صادق الوعد أن الذي ينصره بالأقوال و الأفعال سينصره مولاة و ييسر له أسباب النصر من الثبات و غيره.

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ) و أما الذين كفروا بربهم ونصروا الباطل فإنهم في تعس أى: انتكاس من أمرهم و خذلان.

{ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ } أى: أبطل أعمالهم التي يكيدون بها الحق فرجع كيدهم في نحورهم و بطلت أعمالهم التي يزعمون أنهم يريدون بها وجه الله.

ذلك الإضلال و التعس للذين كفروا بسبب (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ

من القرآن الذي أنزله الله صلاحا للعباد و فلاحا لهم فلم يقبلوه بل أبغضوه و كرهوه

{ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } 9

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) أى: أفلا يسير هؤلاء المكذبون بالرسول ﷺ

{ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب فإنهم لا يلتفتون يمنة

و لا يسيرة إلا وجدوا ما حولهم قد بادوا و هلكوا و استأصلهم التكذيب و الكفر فحمدوا

(دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أموالهم و ديارهم بل دمر أعمالهم و مكرمهم (وَالْكَافِرِينَ) فى كل زمان و مكان

(حبسوا) أوقفوا. (بقنطرة) كل شيء ينصب على طرفي واد أو جانبي نهر ونحوه.

(فيتقاصون) من القصاص و المعنى يتراضون فيما بينهم ويتسامحون عما كان لبعضهم من تبعات على بعض.

(نقوا وهذبوا) خلصوا من جميع الآثام ولم يبق على أحدهم أية تبعة من التنقية وهي تمييز الجيد من الردىء و التهذيب

و هو التخليص. (أدل) أكثر دلالة وأعرف]

{أَمَّا لَهُمَا} هذه العواقب الوحيدة و العقوبات الذميمة.

و أما المؤمنون فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب و يجزل لهم كثير الثواب **10**

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا} فتولاهم برحمته فأخرجهم من الظلمات إلى النور و تولى جزاءهم و نصرهم
 *البخارى عن البراء رضي الله عنه قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرُّمَّةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ
 وَقَالَ: «لَا تَبْرَحُوا إِنِّي رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا وَ إِنِّي رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا»
 فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ رَفَعْنَ عَنِ سَوْقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلَائِلُهُنَّ فَأَخَذُوا يَقُولُونَ:
 الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهْدٌ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا فَأَبَوْا فَلَمَّا أَبَوْا صَرَفَ وُجُوهَهُمْ فَأَصِيبَ
 سَبْعُونَ قَتِيلًا وَ أَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: «لَا تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟
 قَالَ: «لَا تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ قَتَلُوا فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لَأَجَابُوا فَلَمْ يَمْلِكْ
 عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبْلُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
 «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ " قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا الْعِزَّةُ وَ لَا عِزَّةَ لَكُمْ
 فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُ مَوْلَانَا وَ لَا مَوْلَى لَكُمْ»
 قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمَ بَيْتِ بَدْرٍ وَ الْحَرْبِ سَجَالٌ وَ تَجِدُونَ مِثْلَهُ لَمْ أَمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسْؤُنِي
{وَأَنَّ الْكَافِرِينَ} بالله تعالى حيث قطعوا عنهم ولاية الله و سدُّوا على أنفسهم رحمته

{لَا مَوْلَى لَهُمْ} يهديهم إلى سبل السلام و لا ينجيهم من عذاب الله و عقابه بل أولياؤهم الطاغوت

يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون **11**

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ
الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ
وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ
كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ
قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَقُلْتُمْ لِلَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانِسَهُمْ نَفْسُهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا
فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَهُ أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ يَا مُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

(إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

لما ذكر تعالى أنه ولي المؤمنين ذكر ما يفعل بهم في الآخرة من دخول الجنات التي تجري من تحتها الأنهار التي تسقي تلك البساتين الزاهرة و الأشجار الناطرة المثمرة لكل زوج بهيج و كل فاكهة لذيدة.

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ)

و لما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم ذكر أنهم وُكِّلُوا إلى أنفسهم فلم يتصفوا بصفات المروءة و لا الصفات الإنسانية - بل نزلوا عنها دركات و صاروا كالأنعام التي لا عقل لها و لا فضل - بل جل همهم و مقصدهم التمتع بلذات الدنيا و شهواتها

فترى حركاتهم الظاهرة و الباطنة دائرة حولها غير متعدية لها إلى ما فيه الخير و السعادة

(وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) و لهذا كانت النار مَثْوًى لهم أى: منزلا معدا لا يخرجون منها ولا يفترون عنهم من عذابها.

*البخاري 5393- عَنْ نَافِعٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَدْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَكَلَ كَثِيرًا فَقَالَ: يَا نَافِعُ لَا تُدْخِلْ هَذَا عَلَيَّ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ (=وا لجمع أمعاء وهي المصارين)

وَ الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ (=كناية عن الشره والرغبة في متاع الدنيا وملذاتها 12

(وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ) أى: وكم من قرية من قرى المكذبين
(هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ) في الأموال والأولاد والأعوان والأبنية والآلات.
{أَهْلَكْنَاهُمْ} حين كذبوا رسلنا و لم تفد فيهم المواعظ

(فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) فلا نجد لهم ناصرا و لم تغن عنهم قوتهم من عذاب الله شيئا ﴿١٣﴾
(أَفَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ)

لا يستوي من هو على بصيرة من أمر دينه علما و عملا قد علم الحق و اتبعه و رجا ما وعده الله لأهل الحق
(كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءَ عَمَلِهِ) كمن هو أعمى القلب قد رفض الحق و أضله
(وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) و اتبع هواه بغير هدى من الله و مع ذلك يرى أن ما هو عليه من الحق فما أبعد الفرق بين
الفريقين! و ما أعظم التفاوت بين الطائفتين أهل الحق و أهل الغي! ﴿١٤﴾

ما أعد الله للمؤمن و الكافر 15-18

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ) ط

أى: مثل الجنة التي أعدها الله لعباده الذين اتقوا سخطه و اتبعوا رضوانه أى: نعتها وصفتها الجميلة.

{فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} أى: غير متغير لا بوخم و لا بريح منتنة و لا بمرارة و لا بكدورة
بل هو أعذب المياه و أصفها و أطيبها ريحا و ألذها شربا.

{وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ} بحموضة و لا غيرها

{وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ} أى: يلتذ به شاربها لذة عظيمة لا كخمر الدنيا الذى :-

1- يكره مذاقه 2- و يصدع الرأس 3- و يغول العقل {وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى} من شمعته و سائر أوساخه.

{وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ} من نخيل و عنب و تفاح و رمان و أترج و تين و غير ذلك مما لا نظير له في الدنيا

فهذا المحبوب المطلوب قد حصل لهم كقوله {يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ} [الدخان: 55]

{وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ} ط

يزول بها عنهم المرهوب فأى هؤلاء خير أم من هو خالد في النار التي اشتد حرها و تضاعف عذابها

(كَمَن هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ) ليس من هو في الدرجات كمن هو في الدرجات {وَسُقُوا} فيها

{مَاءٌ حَمِيمًا} أى: حارا جدا لا يستطيع

{فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}

ما في بطونهم من الامعاء و الاحشاء فسبحان من فاوت بين الدارين و الجزاين و العاملين و العاملين 15

يقول تعالى: و من المنافقين

{ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ } ما تقول استماعا لا عن قبول و انقياد بل معرضة قلوبهم عنه

و لهذا قال: { حَقَّ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ }

مستفهمين عما قلت وما سمعوا مما لم يكن لهم فيه رغبة

{ مَاذَا قَالَ إِنْشَاءً } أى: قريبا وهذا في غاية الذم لهم

فإنهم لو كانوا حريصين على الخير لألقوا إليه أسماعهم و وعته قلوبهم و انقادت له جوارحهم و لكنهم بعكس هذه الحال

و لهذا قال: { أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } أى: ختم عليها و سدَّ أبواب الخير التي تصل إليها

{ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } بسبب اتباعهم أهواءهم التي لا يهوون فيها إلا الباطل. ثم بين حال المهتدين

فقال: { وَالَّذِينَ آمَنُوا } بالإيمان و الانقياد و اتباع ما يرضي الله

{ زَادَهُمْ هُدًى } شكرا منه تعالى لهم على ذلك

و الذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لها فهداهم إليها و ثبتهم عليها و زادهم منها

{ وَمَا أَنَّهُمْ يَقْوَاهُمْ } أى: وفقهم للخير و حفظهم من الشر-الهمهم رشدهم 17

○ فذكر للمهتدين جزاءين العلم النافع و العمل الصالح.

(فَمَلَّ يَنْظُرُونَ) أى: فهل ينظر هؤلاء المكذبون أو ينتظرون

{ إِلَّا أَلْسَاعَةً أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً } أى: فجأة وهم لا يشعرون

{ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا } أى: علاماتها الدالة على قربها.

البخارى (4936) حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بِأُصْبَعِيهِ هَكَذَا بِالْوُسْطَى وَ الَّتِي تَلَى الْإِبْهَامَ «بُعِثْتُ وَ السَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»

{ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ } فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؟

أى: من أين لهم إذا جاءتهم الساعة و انقطعت آجالهم أن يتذكروا و يستعتبوا؟

قد فات ذلك و ذهب وقت التذكر فقد عمروا ما يتذكر فيه من تذكر و جاءهم النذير.

كقوله { يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى } [الفجر: 23] { وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } [سبأ: 52]

ففي هذا الحث على الاستعداد قبل مفاجأة الموت فإن موت الإنسان قيام ساعته 18

{ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ }

العلم لا بد فيه من إقرار القلب و معرفته بمعنى ما طلب منه علمه و تمامه أن يعمل بمقتضاه.
و هذا العلم الذي أمر الله به -و هو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد كائنا من كان ... بل كل مضطر إلى ذلك. و الطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور:

أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته و أفعاله الدالة على كماله و عظمته و جلالته

فإنها توجب بذل الجهد في التأله له و التعبد للرب الكامل الذي له كل حمد و مجد و جلال و جمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة و الباطنة الدينية و الدنيوية فإن ذلك يوجب تعلق القلب به و محبته و التأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر و النعم العاجلة و من عقوبته لأعدائه المشركين به فإن هذا داع إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان و الأنداد التي عبدت مع الله و اتخذت آلهة

و أنها ناقصة من جميع الوجوه فقيرة بالذات لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ينصرون من عبدهم ولا ينفعونهم بمثقال ذرة من جلب خير أو دفع شر فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك و تواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا و عقولا و رأيا و صوابا و علما -

و هم الرسل والأنبياء و العلماء الربانيون- قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية و النفسية التي تدل على التوحيد أعظم دلالة

و تنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته و بديع حكمته و غرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله و أبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت و قامت أدلة التوحيد من كل جانب فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد بحيث يكون كالجبال الرواسي لا تزلزله الشبه و الخيالات و لا يزداد -على تكرر الباطل و الشبه- إلا نموا و كمالا.

هذا وإن نظرت إلى الدليل العظيم و الأمر الكبير -و هو تدبر هذا القرآن العظيم و التأمل في آياته-

فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله و جملة ما لا يحصل في غيره.

و قوله: **{وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ}** اطلب من الله المغفرة لذنبك بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة و الدعاء بالمغفرة و الحسنات الماحية و ترك الذنوب و العفو عن الجرائم.

{و} استغفر أيضا {وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} فإنهم - بسبب إيمانهم - كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة.

و من جملة حقوقهم -

- 1- أن يدعو لهم و يستغفر لذنوبهم و إذا كان مأمورا بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب و عقوباتها عنهم
- 2- فإن من لوازم ذلك النصح لهم3-و أن يحب لهم من الخير ما يحب لنفسه
- 4-و يكره لهم من الشر ما يكره لنفسه5-و يأمرهم بما فيه الخير لهم6-و ينهاهم عما فيه ضررهم
- 7-و يعفو عن مساوئهم و معاصيهم8-و يحرص على اجتماعهم اجتماعا تتألف به قلوبهم
- 9-و يزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة و الشقاق الذي به تكثر ذنوبهم و معاصيهم.

*البخارى (6398) عَنْ ابْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ:
«رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَ إِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ وَ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَ عَمْدِي وَ جَهْلِي وَ هَزْلِي وَ كُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَ مَا أَخَّرْتُ وَ مَا أَسْرَرْتُ وَ مَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»

*مسلم (2346) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا أَوْ قَالَ ثَرِيدًا قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفِرُكَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ وَ لَكَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ {وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد: 19] قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. عِنْدَ نَاقِضِ كَتِفِهِ (=أعلى الكتف) الْيُسْرَى جُمُعًا عَلَيْهِ خِيْلَانٌ كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ (=حييات تعلق الجسد)»

*البخارى (6307) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«وَ اللَّهُ إِيَّيَّيْ لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلِكُمْ} تصرفاتكم و حركاتكم و ذهابكم و مجيئكم

{وَمَثَلُكُمْ} الذي به تستقرون فهو يعلمكم في الحركات و السكنات فيجازيكم على ذلك أتم الجزاء و أوفاه.

كقوله {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ} [الأنعام: 60]

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هود: 6] ﴿١٩﴾

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ
رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ
طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ
إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ
﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ
الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ
﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُهُمْ
فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾

يَقُولُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا شَرْعِيَّةَ الْجِهَادِ فَلَمَّا فَرَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ أَمَرَ بِهِ نَكَلَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ
النَّاسِ كَقَوْلِهِ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا
فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَتْ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ
قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا [النساء: 77] .

{وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا} استعجالا و مبادرة للأوامر الشاقة {لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ} أي: فيها الأمر بالقتال.

احوال المنافقين و عاقبتهم و ابتلاء المجاهدين 20-34

{فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ} أي: ملزم العمل بها

{وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ} الذي هو أشق شيء على النفوس لم يشب ضعفاء الإيمان على امتثال هذه الأوامر

و لهذا قال: {رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ} سكرات

(الْمَوْتِ) من كراحتهم لذلك و شدته عليهم..-

و هذا كقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ

إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً}

ثم ندبهم تعالى إلى ما هو الأليق بحالهم فقال:

{فَأُولَئِكَ لَهُمْ} طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ} أي: فأولى لهم أن يمثلوا الأمر الحاضر المحتم عليهم

و يجمعوا عليه همهم و لا يطلبوا أن يشرع لهم ما هو شاق عليهم و ليفرحوا بعافية الله تعالى و عفوه.
فأجدر بهم طاعة لرسول الله و قول معروف حسن له
{فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ} أي: جاءهم الأمر جد و أمر محتم

(فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ) ففي هذه الحال لو صدقوا الله بالاستعانة به و بذل الجهد في امتثاله

{لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ}

من حالهم الأولى و ذلك من وجوه:

1- أن العبد ناقص من كل وجه لا قدرة له إلا إن أعانه الله فلا يطلب زيادة على ما هو قائم بصدده.

2- أنه إذا تعلق نفسه بالمستقبل ضعف عن العمل بوظيفة وقته و بوظيفة المستقبل

أما الحال فلأن الهمة انتقلت عنه إلى غيره و العمل تبع للهمة

و أما المستقبل فإنه لا يجيء حتى تفتت الهمة عن نشاطها فلا يعان عليه.

3- أن العبد المؤمل للآمال المستقبلية مع كسله عن عمل الوقت الحاضر شبيه بالمتألى الذي يحزم بقدرته على

ما يستقبل من أموره فأحرى به أن يخذل و لا يقوم بما هم به و وطن نفسه عليه

فالذى ينبغي أن يجمع العبد همه و فكرته و نشاطه على وقته الحاضر و يؤدي وظيفته بحسب قدرته

ثم كلما جاء وقت استقبله بنشاط و همة عالية مجتمعة غير متفرقة مستعينا بربه في ذلك

فهذا حري بالتوفيق و التسديد في جميع أموره **21**

*ثم ذكر تعالى حال المتولى عن طاعة ربه و أنه لا يتولى إلى خير بل إلى شر فقال:-

{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ}

أي: فهما أمران :-

1- إما التزام لطاعة الله و امتثال لأوامره فثم الخير و الرشد و الفلاح

2- و إما إعراض عن ذلك و تولي عن طاعة الله فما ثم إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي و قطيعة الأرحام
أي: تَعَوَّدُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ تَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ وَ تَقَطَّعُونَ الْأَرْحَامَ؛ وَ لِهَذَا قَالَ:

{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ}

وَ هَذَا نَهْيٌ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ عُمُومًا وَ عَنِ قَطْعِ الْأَرْحَامِ خُصُوصًا بَلْ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِصْلَاحِ فِي
الْأَرْضِ وَ صَلَةِ الْأَرْحَامِ وَ هُوَ:-

الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقَارِبِ فِي الْمَقَالِ وَ الْأَفْعَالِ وَ بَذْلِ الْأَمْوَالِ.

وَ قَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ وَ الْحِسَانُ بِذَلِكَ

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ طُرُقٍ عَدِيدَةٍ وَ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ.

*البخاري (4830) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ

فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَهْ! فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ:

فَذَاكَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنَّ شِئْتُمْ: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ

*20734 حم:- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحَرَى أَنْ يُعَجَّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ مَعَ مَا يُؤَخَّرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ بَغْيٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ

" قَالَ وَكَيْعٌ: " أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ " وَ قَالَ يَزِيدُ: " يُعَجَّلُ اللَّهُ " وَ قَالَ: " مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ 22

{أُولَئِكَ الَّذِينَ} {أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ وَ قَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ

{لَنَنْهَنَّهُمُ اللَّهُ} {بأن أبعدهم عن رحمته و قربوا من سخط الله.

{فَأَصْنَهُمْ} أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم و لا يبصرونه فلهم آذان و لكن لا تسمع سماع إذعان و قبول

و إنما تسمع سماعا تقوم به حجة الله عليها

(وَأَعْمَجْ أَبْصَرَهُمْ) و لهم أعين ولكن لا يبصرون بها العبر و الآيات و لا يلتفتون بها إلى البراهين و البينات 23

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْفَرَاءَك) أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله و يتأملونه حق التأمل

فإنهم لو تدبروه لـــــــ:

1- دلهم على كل خير 2- و لحذرهم من كل شر

3- و لمأل قلوبهم من الإيمان و أفندتهم من الإيقان 4- و لأوصلهم إلى المطالب العالية والمواهب الغالية

5- و لبين لهم الطريق الموصلة إلى الله و إلى جنته و مكملاتها و مفسداتها و الطريق الموصلة إلى العذاب

و بأي شيء تحذر 6- و لعرفهم بربهم و أسمائه و صفاته و إحسانه

7- و لشوقهم إلى الثواب الجزيل و رهبهم من العقاب الويل.

{أَمَرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا} أي: قد أغلق على ما فيها من الشر و أقفلت فلا يدخلها خير أبدا؟ هذا هو الواقع.

(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ)

يخبر تعالى عن حالة المرتدين عن الهدى و الإيمان على أعقابهم إلى الضلال و الكفران

ذلك لا عن دليل دلهم و لا برهان

(الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ) و إنما هو تسويل من عدوهم الشيطان زيّن لهم خطاياهم

(وَأَمَلَىٰ لَهُمْ) و مدّ لهم في الأمل و إملاء منه لهم:

{يَعِدُّهُمْ وَيُؤْمِنُهُمْ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [النساء: 120] 25

و (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ) قد تبين لهم الهدى فزهّدوا فيه و رفضوه

و {قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ} من المبارزين العداوة لله و لرسوله

{سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ} أى: الذي يوافق أهواءهم

فلذلك عاقبهم الله بالضلال و الإقامة على ما يوصلهم إلى الشقاء الأبدي و العذاب السرمدى.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ} فلذلك فضحهم و بينها لعباده المؤمنين لئلا يغتروا بها **26**

{فَكَيْفَ} ترى حالهم الشنيعة و رؤيتهم الفظيعة

{إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ} الموكلون بقبض أرواحهم

{يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ} بالمقامع الشديدة؟!

***كقوله {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}

[الأنفال: 50]

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}

بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: 93] **27**

{ذَلِكَ} العذاب الذي استحقوه و نالوه {ب} سبب

{يَأْتَهُمْ أَتَّبِعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ} من كل كفر و فسوق و عصيان.

{وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ} فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه و لا يدينهم منه

{فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} أي: أبطلها و أذهبها

و هذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله و كره سخطه فإنه سيكفر عنه سيئاته و يضاعف أجره و ثوابه **28**

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} من شبهة أو شهوة بحيث تخرج القلب عن حال صحته و اعتداله

{أَن لَّن يَخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ} أن الله لا يخرج ما في قلوبهم من الأضغان و العداوة للإسلام و أهله؟

هذا ظن لا يليق بحكمة الله فإنه لا بد أن يميز الصادق من الكاذب و ذلك بالابتلاء بالمحن :-

1- **اللعن** من ثبت عليها و دام إيمانه فيها فهو المؤمن حقيقة -

2- **و من ردته على عقبيه فلم يصبر عليها**

و حين أتاه الامتحان جزع و ضعف إيمانه و خرج ما في قلبه من الضغن و تبين نفاقه

((هذا مقتضى الحكمة الإلهية)))

*أَي: اعْتَقَدَ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَكْشِفُ أَمْرَهُمْ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ؟

بَلْ سَيُوضَّحُ أَمْرُهُمْ وَيُجَلِّيهِ حَتَّى يَفْهَمَهُمْ ذَوُو الْبَصَائِرِ

و قَدْ أَنْزَلَ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ سُورَةَ "بَرَاءة" فَبَيَّنَ فِيهَا فَضَائِحَهُمْ وَ مَا يَعْتَمِدُونَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ

وَلِهَذَا إِنَّمَا كَانَتْ تُسَمَّى الْقَاضِحَةَ.

وَالْأَصْغَانُ: -جَمْعُ ضَغْنٍ وَهُوَ مَا فِي النُّفُوسِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَالْقَائِمِينَ بِنَصْرِهِ **29**

وَلَنْبَلُوْنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِيْنَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِيْنَ وَنَبْلُوْا اَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَشَاقُّوْا الرِّسُوْلَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدٰى لَنْ يَضُرُّوْا اللّٰهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ اَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا أَطِيعُوْا اللّٰهَ وَأَطِيعُوْا الرِّسُوْلَ وَلَا تَبْطُلُوْا اَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾

إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ثُمَّ مَا تُوْا وَهُمْ كَفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾

فَلَا تَهِنُوْا وَتَدْعُوْا إِلَى السَّلٰمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللّٰهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرَكَ اَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾

إِنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ إِنْ تَوَمَّنُوْا وَتَنَقَّلُوا فِيْكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾

إِنْ يَسْأَلْكُمْوْهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْغَنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰأَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ

لِنُنْفِقُوا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ ۗ

وَاللّٰهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُوْنُوْا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

(وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ) أي: بعلاماتهم التي هي كالوسم في وجوههم.

{وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} أي: لا بد أن يظهر ما في قلوبهم ويتبين بقلبات ألسنتهم

فإن الألسن مغارف القلوب يظهر منها ما في القلوب من الخير و الشر

{وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اَعْمَالَكُمْ} فيجازيكم عليها 30

ثم ذكر أعظم امتحان يمتحن به عباده و هو الجهاد في سبيل الله فقال:

{وَلَنْبَلُوْنَكُمْ} أي: نختبر إيمانكم و صبركم {حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِيْنَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِيْنَ}

○ فمن امثل أمر الله و جاهد في سبيل الله لنصر دينه و إعلاء كلمته

فهو المؤمن حقا و من تكاسل عن ذلك كان ذلك نقصا في إيمانه.

*حتى يظهر ما علمه سبحانه في الأزل لنميز أهل الجهاد منكم و الصبر على قتال أعداء الله

{وَنَبْلُوْا} و نختبر {اَخْبَارَكُمْ} أقوالكم و أفعالكم فيظهر الصادق منكم من الكاذب 31

(إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ) هذا وعيد شديد لمن جمع أنواع الشر كلها من الكفر بالله

و صد الخلق عن سبيل الله الذي نصبه موصلا إليه.

{وَشَاقُّوْا الرِّسُوْلَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدٰى} أي: عاندوه و خالفوه عن عمد و عناد لا عن جهل و غي و ضلال

فإنهم {لَنْ يَضُرُّوْا اللّٰهَ شَيْئًا} فلا ينقص به ملكه {وَسَيُحِيطُ اَعْمَالُهُمْ} أي: مساعيهم التي بذلوها في نصر الباطل

بأن لا تشر لهم إلا الخيبة و الخسران و أعمالهم التي يرجون بها الثواب لا تقبل لعدم وجود شرطها **32**

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

يأمر تعالى المؤمنين بأمر به تتم أمورهم و تحصل سعادتهم الدينية و الدنيوية و هـو:

1- طاعته و طاعة رسوله في أصول الدين و فروعه

و الطاعة هـى:- امتثال الأمر و اجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص

2- و تمام المتابعة.

و قوله: **{وَلَا تَبْطُلُوا ءَعْمَالَكُمْ}** يشمل النهى عن :-

1- إبطالها بعد عملها بما يفسدها من مَنٍ بها و إعجاب و فخر و سمعة

و من عمل بالمعاصى التي تضمحل معها الأعمال و يحبط أجرها

2- و يشمل النهى عن إفسادها حال وقوعها بقطعها أو الإتيان بمفسد من مفسداتها.

فمبطلات الصلاة و الصيام و الحج و نحوها كلها داخلة في هذا و منهي عنها

و يستدل الفقهاء بهذه الآية على :-

1- تحريم قطع الفرض 2- و كراهة قطع النفل من غير موجب لذلك

○ و إذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال فهو أمر بإصلاحها و إكمالها و إتمامها

و الإتيان بها على الوجه الذي تصلح به علما و عملا.

قال بن كثير: تبطلوا : أى بالردة لما فى الآية بعدها رقم 34

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ 34} فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَمُ ءَعْمَالَكُمْ }

هذه الآية و التى فى البقرة قوله:

{وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ 217}

كقوله **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا}**

[النساء: 48]

مقيدتان لكل نص مطلق فيه إحباط العمل بالكفر فإنه مقيد بالموت عليه

فقال هنا: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}** بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر

{وَصَدُّوا} الخلق **{عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}** بتزهيدهم إياهم بالحق و دعوتهم إلى الباطل و تزيينه

{ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ} لم يتوبوا منه **{فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}** لا بشفاعاة و لا بغيرها لأنه قد تحتم عليهم العقاب

و فاتهم الثواب و وجب عليهم الخلود في النار و سدت عليهم رحمة الرحيم الغفار.

و مفهوم الآية الكريمة:-

أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم فإن الله يغفر لهم و يرحمهم و يدخلهم الجنة و لو كانوا مفنين أعمارهم في الكفر به و الصد عن سبيله و الإقدام على معاصيه

○ فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحمة و لم يغلقها عن أحد ما دام حيا متمكنا من التوبة.

و سبحان الحليم الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة بل يعافيههم و يرزقهم كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم **34**

ثم قال تعالى: **{فَلَا تَهِنُوا}** أي: لا تضعفوا عن قتال عدوكم و يستولي عليكم الخوف بل اصبروا و اثبتوا و وطنوا أنفسكم على القتال و الجلال طلبا لمرضاة ربكم و نصحا للإسلام و إغضابا للشيطان.

(وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ) و لا تدعوا إلى المسالمة و المتاركة بينكم و بين أعدائكم طلبا للراحة

حقيقة الدنيا و الامر بالانفاق و الجهاد 35-38

{و} الحال أنكم

{وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكَنَّ} يحبطها-يسلبها-بل يوفيكم ثوابها و لا ينقصكم منها شيئا

{أَمَّا نَكَلُكُمْ} فهذه الأمور الثلاثة كل منها مقتض للصبر و عدم الوهن كونهم الأعلى أي:-

قد توفرت لهم أسباب النصر و وعدوا من الله بالوعد الصادق

فإن الإنسان لا يهين إلا إذا كان

أذل من غيره- و أضعف عددا- و عددا- و قوة داخلية- و خارجية.

الثاني: أن الله معهم فإنهم مؤمنون و الله مع المؤمنين بالعون و النصر و التأييد و ذلك موجب لقوة قلوبهم وإقدامهم على عدوهم.

الثالث: أن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيئا بل سيوفيهم أجورهم و يزيدهم من فضله خصوصا عبادة الجهاد فإن النفقة تضاعف فيه إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة

*** قال بن كثير **{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ}**

أي: في حال غلوكم على عدوكم فأما إذا كان الكفار فيهم قوة و كثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ورأى الإمام في المعاهدة والمهادنة مصلحة

فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله ﷺ حين صده كفار قريش عن مكة و دعوه إلى الصلح و وضع الحرب بينهم و بينه عشر سنين فأجابهم إلى ذلك.

و قال تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْثُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}** ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة

ولا يقطعون واديا إلا كتبت لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون التوبة

فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضيع عمله و جهاده
أوجب له ذلك النشاط و بذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر والثواب
فكيف إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة:—فإن ذلك يوجب النشاط التام فهذا من ترغيب الله لعباده و تنشيطهم
و تقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم و فلاحهم **35**

(إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) هذا تزهيد منه لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها بأنها — :-

(لَعِبٌ) في الأبدان (وَلَهْوٌ) في القلوب

فلا يزال العبد لاهيا فـى:-

ماله و أولاده و زينته و لذاته من النساء و المآكل و المشارب و المساكن و المجالس و المناظر و الرياضات
لأعبا في كل عمل لا فائدة فيه بل هو دائر بين البطالة و الغفلة و المعاصى
حتى تستكمل دنياه و يحضره أجله-

فإذا هذه الأمور قد ولت و فارقت و لم يحصل العبد منها على طائل
بل قد تبين له خسارته و حرمانه و حضر عذابه

فهذا موجب للعاقل الزهد فيها و عدم الرغبة فيها و الاهتمام بشأنها

و إنما الذي ينبغي أن يهتم به ما ذكره بقوله: **{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ}**

بأن تؤمنوا بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر

و تقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان و مقتضياته و هـى:-

العمل بمرضاته على الدوام مع ترك معاصيه فهذا الذي ينفع العبد

و هو الذي ينبغي أن يتنافس فيه و تبذل الهمم والأعمال في طلبه و هو مقصود الله من عباده رحمة بهم و لطفاً
ليشبههم الثواب الجزيل و لهذا قال:

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} أى: لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم

و يعتنكم من أخذ أموالكم و بقائكم بلا مال أو ينقصكم نقصاً يضركم **36**

و لهذا قال: **{إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُخْفِئْكُم}**

فيلج عليكم و يجهدكم و أحفاكم بسؤالها

(تَبْخُلُوا) أنكم تمتنعون منها

(وَيُخْرِجَ أَعْيُنَكُمُ)

أي: ما في قلوبكم من الضغن إذا طلب منكم ما تكرهون بذله

{هَآأَنُتُمْ هَآؤَلَاءُ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} على هذا الوجه الذي فيه مصلحتكم الدينية و الدنيوية.

{فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ} أي: فكيف لو سألكم و طلب منكم أموالكم في غير أمر ترونه مصلحة عاجلة؟
أليس من باب أولى و أخرى امتناعكم من ذلك.

ثم قال: **{وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ}**

لأنه حرم نفسه ثواب الله تعالى و فاته خير كثير و لن يضر الله بترك الإنفاق شيئاً.

{وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ} تحتاجون إليه في جميع أوقاتكم لجميع أموركم.

{وَإِن تَتَوَلَّوْا} عن الإيمان بالله و امثال ما يأمركم به

{يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ} في التولي بل يطيعون الله و رسوله و يحبون الله و رسوله

كقوله **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}** [المائدة: 54] **38**

48-سورة الفتح-مدنية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَرْفٌ السَّوْغَاتِهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَعَظَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

صلح الحديبية 7-1

الصحيح المسند من اسباب النزول صحيح البخاري 4844

عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا وَائِلَ أَسْأَلُهُ فَقَالَ: كُنَّا بِصَفَيْنَ فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ: اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحَدِيبَةِ - يَعْنِي الصَّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ - وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدُّنْيَا فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا» فَرَجَعَ مُتَغَيِّظًا فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾

هذا الفتح المذكور هو صلح الحديبية حين صد المشركون رسول الله ﷺ لما جاء معتمرا في قصة طويلة

صار آخر أمرها أن صالحهم رسول الله ﷺ على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين و على أن يعتمر من العام المقبل و على أن من أراد أن يدخل في عهد قريش و حلفهم دخل و من أحب أن يدخل في عهد رسول الله ﷺ وعقده فعل.

و بسبب ذلك لما أمن الناس بعضهم بعضا اتسعت دائرة الدعوة لدين الله عز وجل

و صار كل مؤمن بأي محل كان من تلك الأقطار يتمكن من ذلك و أمكن الحريص على الوقوف على حقيقة الإسلام فدخل الناس في تلك المدة في دين الله أفواجا فلذلك سماه الله فتحا و وصفه بأنه فتح مبين: أي: ظاهر جلي و ذلك لأن المقصود في فتح بلدان المشركين إعزاز دين الله و انتصار المسلمين **1** و هذا حصل بذلك الفتح و رتب الله على هذا الفتح عدة أمور

فقال: **{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}**

و ذلك -و الله أعلم- بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة و الدخول في الدين بكثرة و بما تحمل ﷺ من تلك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولو العزم من المرسلين و هذا من أعظم مناقبه و كراماته ﷺ أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر.

{وَيُتَبِّرْ نَفْسَهُ عَلَىٰ نِكَاحٍ} يا عزاز دينك و نصرك على أعدائك و اتساع كلمتك

{وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} تنال به السعادة الأبدية و الفلاح السرمدى.

*مسلم (794) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْقِلٍ الْمُزَنِيَّ يَقُولُ:

«قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فِي مَسِيرِ لَهُ سُورَةَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَرَجَّعَ فِي قِرَاءَتِهِ قَالَ مُعَاوِيَةُ: «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ يَجْتَمَعَ عَلَيَّ النَّاسُ لَحَكَيْتُ لَكُمْ قِرَاءَتَهُ

*البخارى (4150) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ:-

تَعُدُّونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا وَ نَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَ الْحُدَيْبِيَّةُ بئرٌ فَتَرَحَّنَّاهَا فَلَمْ نَتَزَكُ فِيهَا قَطْرَةً فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَاهَا فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ مَضَمَضَ وَ دَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْ مَا شِئْنَا نَحْنُ وَ رِكَابُنَا» **2**

{وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا} أي: قويا لا يتضعضع فيه الإسلام بل يحصل الانتصار التام و قمع الكافرين و ذلهم

و نقصهم مع توفر قوى المسلمين و نموهم و نمو أموالهم

*مسلم (2588) عَنْ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»

ثم ذكر آثار هذا الفتح على المؤمنين فقال:- **(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ)**

يخبر تعالى عن منتهى على المؤمنين بانزال السكينة في قلوبهم و هى السكون و الطمأنينة و الثبات عند نزول

المحن المقلقة و الأمور الصعبة التي تشوش القلوب و تزعج الأبواب و تضعف النفوس

فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبتته و يربط على قلبه و ينزل عليه السكينة ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت و نفس مطمئنة

(لِيَزَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ) فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال فيزداد بذلك إيمانه

و يتم إيقانه فالصحابه ﷺ لما جرى ما جرى بين رسول الله ﷺ والمشركين من تلك الشروط التي ظهرها أنها غضاضة عليهم و حط من أقدارهم و تلك لا تكاد تصبر عليها النفوس فلما صبروا عليها و وطنوا أنفسهم لها ازدادوا بذلك إيماناً مع إيمانهم.

و قوله: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}

جميعها في ملكه و تحت تدبيره و قهره فلا يظن المشركون أن الله لا ينصر دينه و نبيه

(وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً)

و لكنه تعالى عليم حكيم فتقتضي حكمته المداولة بين الناس في الأيام و تأخير نصر المؤمنين إلى وقت آخر. * وَ لَوْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مَلَكَ وَاحِدًا لَأَبَادَ خَصَرَاءَهُمْ وَ لَكِنَّهُ تَعَالَى شَرَعَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ وَ الْقِتَالَ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَ الْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ وَالْبَرَاهِينِ الدَّامِغَةِ وَ لِهَذَا قَالَ: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً} (لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ)

الصحيح المسند من اسباب النزول مسند أحمد

12374 - حَدَّثَنَا بِهِزٌ حَدَّثَنَا هَمَامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّهَا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَرْجِعَهُ مِنَ

الْحُدَيْبِيَّةِ وَ أَصْحَابُهُ مُخَالِطُونَ الْحُزْنَ وَ الْكَأَبَ وَ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَنَاسِكِهِمْ

وَ نَحَرُوا الْهَدْيَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: 1] إِلَى قَوْلِهِ: {صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}

[النساء: 68] قَالَ: " لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتَانِ هُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا "

قَالَ: فَلَمَّا تَلَاهُمَا قَالَ رَجُلٌ: هَنِيئًا مَرِيئًا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ مَا يَفْعَلُ بِكَ فَمَا يَفْعَلُ بِنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْآيَةَ الَّتِي بَعْدَهَا:

{لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الفتح: 5] حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ

* البخارى (4172) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: 1].

قَالَ: الْحُدَيْبِيَّةُ قَالَ أَصْحَابُهُ: هَنِيئًا مَرِيئًا فَمَا لَنَا؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الفتح: 5]

قَالَ شُعْبَةُ: فَقَدِمْتُ الْكُوفَةَ فَحَدَّثْتُ بِهَذَا كُلَّهُ عَنْ قَتَادَةَ ثُمَّ رَجَعْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ

فَقَالَ أَمَّا: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ} [الفتح: 1]. فَعَنْ أَنَسٍ وَ أَمَّا هَنِيئًا مَرِيئًا فَعَنْ عِكْرَمَةَ

○ فهذا أعظم ما يحصل للمؤمنين أن يحصل لهم المرغوب المطلوب بدخول الجنات و يزيل عنهم المحذور بتكفير السيئات.

{وَكَانَ ذَلِكَ} الجزاء المذكور للمؤمنين {عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا} فهذا ما يفعل بالمؤمنين في ذلك الفتح المبين 5

(وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ)

و أما المنافقون و المنافقات و المشركون و المشركات فإن الله يعذبهم بذلك و يريهم ما يسوءهم

حيث كان مقصودهم ((خذلان المؤمنين))

(الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ)

و ظنوا بالله الظن السوء أنه لا ينصر دينه و لا يعلي كلمته و أن أهل الباطل ستكون لهم الدائرة على أهل الحق

فأدار الله عليهم ظنهم وكانت دائرة السوء عليهم في الدنيا

{وَعُذِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} بما اقترفوه من المحادة لله ولرسوله

{وَلَعَنَهُمْ} {أى: أبعدهم و أقصاهم عن رحمته

{وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} 6

(وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

كرر الإخبار بأن له ملك السماوات و الأرض و ما فيهما من الجنود ليعلم العباد أنه تعالى هو المعز المذل

و أنه سينصر جنوده المنسوبة إليه كما قال تعالى: **{وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}**

{وَوَكَانَ اللَّهُ غَازِيًا} أي: قويا غالبا قاهرا لكل شيء و مع عزته و قوته فهو —

{حَكِيمًا} في خلقه و تدبيره يجري على ما تقتضيه حكمته و إتقانه **7**

وظيفة الرسول و بيعة الصحابة 8-10

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ} أيها الرسول الكريم {شَهِيدًا}

لأمتك بما فعلوه من خير و شر و شاهدا على المقالات و المسائل حقها و باطلها

و شاهدا لله تعالى بالوحدانية و الانفراد بالكمال من كل وجه

{وَمُبَشِّرًا} من أطاعك و أطاع الله بالثواب الدنيوى و الدينى و الآخرى

{وَنَذِيرًا} و منذرا من عصى الله بالعقاب العاجل و الآجل و من تمام البشارة و النذارة بيان الأعمال

و الأخلاق التي يبشر بها و ينذر فهو المبين للخير والشر و السعادة و الشقاوة و الحق من الباطل

و لهذا رتب على ذلك قوله: **{لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}**

بسبب دعوة الرسول لكم و تعليمه لكم ما ينفعكم أرسلناه لتقوموا بالإيمان بالله و رسوله المستلزم ذلك

لطاعتهما في جميع الأمور.

{وَتُعَزِّرُوهُ} تنصروه

{وَتَوْقِرُوهُ}

تعزروا الرسول ﷺ و توقروه أى: تعظموه و تجلوه و تقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة بربابكم

{وَسَبِّحُوهُ} {أى: تسبحوا لله **{بُكْرَةً وَأَصِيلًا}** أول النهار و آخره

ذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله و بين رسوله و هو: الإيمان بهما

و المختص بالرسول و هو: التعزير و التوقيير

و المختص بالله و هو: التسبيح له و التقديس بصلاة أو غيرها 9

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ^٤
وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ جَزَاءٌ عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ
مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا لَنْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ
الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾
وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ
إِذَا أُنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ^٥
قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا﴾**

بيعة الرضوان التي بايع الصحابة رضي الله عنهم فيها رسول الله ﷺ على أن لا يفروا عنه فهي عقد خاص من لوازمه
أن لا يفروا و لو لم يبق منهم إلا القليل و لو كانوا في حال يجوز الفرار فيها فأخبر تعالى:

أن الذين بايعوك حقيقة الأمر أنهم **﴿يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾** و يعقدون العقد معه، حتى إنه من شدة تأكده أنه قال:

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

أى: كأنهم بايعوا الله و صافحوه بتلك المبايعة و كل هذا لزيادة التأكيد و التقوية و حملهم على الوفاء بها
أى: هُوَ حَاضِرٌ مَعَهُمْ يَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ وَ يَرَى مَكَانَهُمْ وَ يَعْلَمُ صَمَائِرَهُمْ وَ ظَوَاهِرَهُمْ فهو تعالى هو المبايع
بواسطة رسوله كقوله:- **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**
فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي
بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111]

*مسلم (2780) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ ثَنِيَّةَ الْمَرَارِ، فَإِنَّهُ يُحِطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»
قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعَدَهَا خَيْلُنَا، خَيْلُ بَنِي الْخَزَرَجِ ثُمَّ تَتَامَ النَّاسُ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ، إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ»

فَاتَّبَعْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ يَسْتَغْفِرَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:

وَاللَّهِ لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ قَالَ وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ

*مسلم (2496) جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه يَقُولُ: أَخْبَرْتَنِي أُمُّ مُبَشَّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتْ رضي الله عنه يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»
قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَانْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ: {وَأَنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم: 71]
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا} [مريم: 72]
و لهذا قال: {فَمَنْ نَكَثَ} فلم يف بما عاهد الله عليه

{فَأِنَّمَا يَنْتَكُثُ عَلَى نَفْسِهِ} أي: لأن وبال ذلك راجع إليه و عقوبته واصله له،

{وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ} أي: أتى به كاملا موفرا،

{فَسَيُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا} لا يعلم عظمه و قدره إلا الذي آتاه إياه 10

حقيقة المنافقين و عاقبتهم 11-16

(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا)

يذم تعالى المتخلفين عن رسوله في الجهاد في سبيله من الأعراب الذين ضعف إيمانهم،
و كان في قلوبهم مرض و سوء ظن بالله تعالى و أنهم سيعتذرون بأن أموالهم و أهليهم شغلتهم عن الخروج في
الجهاد و أنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم

قال الله تعالى: {فَاسْتَغْفِرْ لَنَا} فإن طلبهم الاستغفار من رسول الله ﷺ يدل على: -

ندمهم و إقرارهم على أنفسهم بالذنوب و أنهم تخلفوا تخلفا يحتاج إلى توبة و استغفار

{يَقُولُونَ يَا أَيْسَرْتُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا}
بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

فلو كان هذا الذي في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعا لهم لأنهم قد تابوا و أنابوا

و لكن الذي في قلوبهم أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء 11

{بَلْ ظَنَنْتُمْ} فظنوا

{أَنْ لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا} أي: إنهم سيقتلون و يستأصلون

(وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا أَلْسَوَّ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا)

و لم يزل هذا الظن يزين في قلوبهم و يطمئنون إليه حتى استحکم

و سبب ذلك أمران:-

أحدها: أنهم كانوا {قَوْمًا بُورًا} أي: هلكى لا خير فيهم فلو كان فيهم خير لم يكن هذا في قلوبهم 12

الثاني: ضعف إيمانهم و يقينهم بوعده الله و نصر دينه و إعلاء كلمته

و لهذا قال: (**وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا**) أى: فإنه كافر مستحق للعقاب **13**

{وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أى: هو تعالى المنفرد بملك السماوات و الأرض يتصرف فيهما بما يشاء من:-

الأحكام القدريّة و الأحكام الشرعية و الأحكام الجزائية

○ و لهذا ذكر حكم الجزاء المرتب على الأحكام الشرعية فقال:-

{يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ} و هو من بما أمره الله به

{وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} {ممن تهاون بأمر الله

{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} أى: وصفه اللازم الذي لا ينفك عنه المغفرة و الرحمة

فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمذنبين و يتجاوز عن الخطائين و يتقبل توبة التائبين و ينزل خيره المدرار

آناء الليل و النهار **14**

(**سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِنَاخِذُوهَا**)

لما ذكر تعالى المخلفين و ذمهم، ذكر أن من عقوبتهم الدنيوية أن رسول الله ﷺ و أصحابه إذا انطلقوا إلى غنائم

لا قتال فيها ليأخذوها طلبوا منهم الصلبة و المشاركة

و يقولون: **{يُرِيدُونَ}** بذلك

{أَنْ يَبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ} حيث حكم بعقوبتهم و اختصاص الصحابة المؤمنين بتلك الغنائم:- **شرعا و قدرا**

{قُلْ} لهم

{لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ}

إنكم محرومون منها بما جنيتم على أنفسكم و بما تركتم القتال أول مرة.

{فَسَيَقُولُونَ} {مجيبين لهذا الكلام، الذي منعوا به عن الخروج:

{بَلْ تَحَسُدُونَا} {على الغنائم، هذا منتهى علمهم في هذا الموضع و لو فهموا رشدهم

لعلموا أن حرمانهم بسبب عصيانهم و أن المعاصي لها عقوبات دنيوية و دينية

و لهذا قال: **{بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا}** **15**

قُلْ لِلْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ
فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْذِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا لِّئَلَّا تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾
لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾
وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا
فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾
وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَلُوكَانِ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

○ لما ذكر تعالى أن المخلفين من الأعراب يتخلفون عن الجهاد في سبيله و يعتذرون بغير عذر
و أنهم يطلبون الخروج معهم إذا لم يكن شوكة و لا قتال بل لمجرد الغنيمة قال تعالى ممتحننا لهم:

بيعة الرضوان و نتائج الصلح 17-26

{قُلْ لِلْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ}

أي: سيدعوكم الرسول و من ناب منابه من الخلفاء الراشدين و الأئمة و هؤلاء القوم فارس و الروم و من نحا
نحوهم و أشبههم..-هوازن و ثقيف يوم حنين في السنة الثامنة من الهجرة

{تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ} أي: إما هذا و إما هذا وهذا هو الأمر الواقع فإنهم في حال قتالهم و مقاتلتهم لأولئك

الأقوام إذ كانت شدتهم و بأسهم معهم فإنهم في تلك الحال لا يقبلون أن يبذلوا الجزية

بل إما أن يدخلوا في الإسلام و إما أن يقاتلوا على ما هم عليه فلما أثنى عليهم المسلمون و ضعفوا و ذلوا ذهب
بأسهم

فصاروا :- 1- إما أن يسلموا 2- و إما أن يبذلوا الجزية

{فَإِنْ تَطِيعُوا} الداعي لكم إلى قتال هؤلاء

{يُؤْذِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا} و هو الأجر الذي رتبته الله و رسوله على الجهاد في سبيل الله

{وَلِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ} عن قتال من دعاكم الرسول إلى قتاله

{يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} و دلت هذه الآية على :-

1- فضيلة الخلفاء الراشدين الداعين لجهاد أهل البأس من الناس 2- وأنه تجب طاعتهم في ذلك 16

ثم ذكر الأعذار التي يعذر بها العبد عن الخروج إلى الجهاد فقال:-

{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ} أي: ففى التخلف عن الجهاد لعذرهم المانع.

{وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} في امتثال أمرهما و اجتناب نهيهما

{يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين

{وَمَنْ يَتَوَلَّ} عن طاعة الله ورسوله

{يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا} فالسعادة كلها في طاعة الله و الشقاوة في معصيته و مخالفته 17

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)

يخبر تعالى بفضله ورحمته برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول ﷺ تلك المبايعة التي بيضت وجوههم

و اكتسبوا بها سعادة الدنيا و الآخرة و كان سبب هذه البيعة -التي يقال لها "بيعة الرضوان":

لرضا الله عن المؤمنين فيها و يقال لها "بيعة أهل الشجرة" أن رسول الله ﷺ لما دار الكلام بينه و بين المشركين

يوم الحديبية في شأن مجيئه وأنه لم يجئ لقتال أحد و إنما جاء زائرا هذا البيت معظما له

فبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان لمكة في ذلك فجاء خبر غير صادق أن عثمان قتله المشركون

فجمع رسول الله ﷺ من المؤمنين كانوا نحواً من ألف و خمسمائة فبايعوه تحت شجرة على قتال

المشركين و أن لا يفروا حتى يموتوا فأخبر تعالى أنه رضي عن المؤمنين في تلك الحال التي هي من أكبر

الطاعات وأجل القربات

{فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} من الإيمان **{فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ}** الطمأنينة **(عَلَيْهِمْ)**

شكرا لهم على ما في قلوبهم زادهم هدى و علم ما في قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها

المشركون على رسوله فأنزل عليهم السكينة تثبتهم وطمئن بها قلوبهم

{وَأَنْبَأَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} و هو: فتح خيبر لم يحضره سوى أهل الحديبية فاخصوا بخيبر و غنائمها جزاء لهم

و شكرا على ما فعلوه من طاعة الله تعالى والقيام بمرضاته 18

{وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا}

فتح خيبر و مكة و سائر البلاد و الاقاليم و ما حصل لهم من العزة و النصر و الرفعة في الدنيا و الآخرة

{وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} أي: له العزة والقدرة التي قهر بها الأشياء

فلو شاء لانتصر من الكفار في كل وقعة تكون بينهم و بين المؤمنين

و لكنه حكيم يتلي بعضهم بعض و يمتحن المؤمن بالكافر **19**

{وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا} و هذا يشمل كل غنيمة غنمها المسلمين إلى يوم القيامة

{فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ} أى: غنيمة خير- فلا تحسبوها وحدها بل ثم شيء كثير من الغنائم سيتبعها

{و} {أَحْمَدُوا اللَّهَ إِذْ {وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ} {القادرين على قتالكم الحريصين عليه

و كف ايدي الناس الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم و حريمكم

{عَنكُم} { فهي نعمة و تخفيف عنكم **{وَلِتَكُونَنَّ}** {هذه الغنيمة

{ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} يستدلون بها على خبر الله الصادق و وعده الحق و ثوابه للمؤمنين و أن الذي قدرها سيقدر

غيرها - و أن الخيرة فيما اختاره الله و إن كرهوه في الظاهر (وعسى ان تكرهوا شيئا و هو خير لكم) البقرة 216

{وَيَهْدِيَكُمْ} {بما يقيض لكم من الأسباب -بسبب انقيادكم لاوامر الله و نبيه

{صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} {من العلم و الإيمان و العمل **20**

{وَأُخْرَى} {أى: وعدكم أيضا غنيمة أخرى

{لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا} {وقت هذا الخطاب-أى و مغانم أخرى لم تقدرُوا عليها و هى غنائم فارس و الروم.

{قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا} {

أى: هو قادر عليها و تحت تدبيره و ملكه و قد وعدكموها فلا بد من وقوع ما وعد به لكمال اقتدار الله تعالى

و لهذا قال: **{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا}** **21**

{وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا}

هذه بشارة من الله لعباده المؤمنين بنصرهم على أعدائهم الكافرين و أنهم لو قابلوهم و قاتلوهم

{لَوْلُوا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا} {يتولى أمرهم

{وَلَا نَصِيرًا} {ينصرهم و يعينهم على قتالكم بل هم مخذولون مغلوبون **22**

{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ} {و هذه سنة الله في الأمم السابقة أن جند الله هم الغالبون

{وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} {كما حدث في بدر مع قلة المسلمين-و لن تجد -أيها النبي ﷺ- لسنة الله تغييرا **23**

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ^٤
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا
أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُمْ^٥ وَلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ^٦
لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾
إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ جَمِيعَةً لِلْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا^٧
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ^٨
لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ^٩
فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

*المسند من اسباب النزول-صحيح البخاري

2731 عَنْ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَ مَرَّانٍ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَا:
خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلَبَةٌ فَخَذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ»
فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةِ الْجَيْشِ فَاَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ
وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يَهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاحِلَتُهُ
فَقَالَ النَّاسُ: حُلْ حُلْ فَالْحَتَّ فَقَالُوا: خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»
ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرُمَاتُ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا»
ثُمَّ زَجَرَهَا فَوُثِّبَتْ قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلٍ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ
النَّاسُ تَبَرُّضًا فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشَكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشُ
فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى
صَدَرُوا عَنْهُ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةٍ
وَكَانُوا عَيْنَةَ نُسُحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تَهَامَةٍ فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤْيٍ وَعَامِرَ بْنَ
لُؤْيٍ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَمَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطَافِيلُ وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ
الْحَرْبُ أَضَرَّتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتَهُمْ مَدَّةً وَيَخْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ
فَإِنْ أَظْهَرَ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِنَّا فَقَدْ جَمَّوْا وَإِنْ هُمْ أَبَوْا

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَىٰ آمْرِي هَذَا حَتَّىٰ تَنْفَرَدَ سَالِفَتِي وَلَيُنْضِدَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ " فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأَبْلَغُهُمْ مَا تَقُولُ قَالَ: فَانْطَلِقْ حَتَّىٰ أَتَىٰ قُرَيْشًا قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ وَ قَالَ ذُوو الرِّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟

قَالُوا: بَلَىٰ قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ قَالَ: فَهَلْ تَتَّهَمُونِي؟

قَالُوا: لَا قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عِكَازٍ فَلَمَّا بَلَغُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي

وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَىٰ قَالَ: فَإِنْ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةٌ رُشِدَ أَقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ

قَالُوا: إِنَّهُ فَاتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْنُ مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ

فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَاصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ

اجْتَاكَ أَهْلُهُ قَبْلَكَ وَ إِنْ تَكُنْ الْأُخْرَىٰ فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَىٰ وَجُوهًا وَإِنِّي لَأَرَىٰ أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا

أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِيْظِرِّ اللَّاتِ أَنْحَنُ نَفْرًا عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟

فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ قَالَ: أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا

لَأَجَبْتُكَ قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ

وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ قَائِمًا عَلَىٰ رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَ مَعَهُ السِّيفُ وَعَلَيْهِ الْمَغْضَرُ

فَكَلَّمَا أَهْوَىٰ عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَىٰ لَحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السِّيفِ

وَ قَالَ لَهُ: أَخْرِ يَدَكَ عَنْ لَحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ

فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَقَالَ: أَيُّ غُدْرٍ أَلَسْتُ أَسْعَىٰ فِي غُدْرَتِكَ؟

وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحْبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ

ثُمَّ جَاءَ فَاسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبِلْ وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنْخَمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِنَّا وَقَعْتُ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ

وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ

وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَ وَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ

وَكَسْرَىٰ وَالنَّجَاشِيَّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلَكًا قَطُّ يَعْظُمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يَعْظُمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا

وَاللَّهِ إِنْ تَنْخَمُ نُخَامَةً إِنَّا وَقَعْتُ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ

وَ إِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ

وَ إِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ

وَ إِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رُشِدَ أَقْبَلُوهَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ فَقَالُوا: إِنَّهُ

فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«هَذَا فُلَانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يَعْظُمُونَ الْبَدْنَ فَابْعَثُوهُ لَهُ»

فَبُعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يَلْبُونُ فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ

مَا يَنْبَغِي لَهُؤُلَاءَ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ:

رَأَيْتُ الْبَدْنَ قَدْ قَلَّدَتْ وَأَشْعَرَتْ فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مَكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ فَقَالَ: عُوْنِي آتِيهِ فَقَالُوا: أَتَيْتَهُ

فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا مَكْرَزُ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»

فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو

قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرَمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ:

فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»

ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ

وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«وَاللَّهِ إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي

اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» - قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ:

«لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرُمَاتُ اللَّهِ إِنَّا أَعْطَيْنَاهُمْ إِيَّاهَا» - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

«عَلَى أَنْ تَخْلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَتَطُوفَ بِهِ»

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أَخَذْنَا ضَغْطَةً وَ لَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَكَتَبَ

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنْ رَجُلٍ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِنَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا

قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يَرُدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلُ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قِيُودِهِ

وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ

فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ» قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لِي» قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ قَالَ: «بَلَى فَاَفْعَلْ»

قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ قَالَ مَكْرَزُ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ

قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعْشَرِ الْمُسْلِمِينَ أُرِدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا إِلَّا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟

وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَاتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ

فَقُلْتُ: أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ

قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ: فَلِمَ نَعْطِي الدُّنْيَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟

قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي»

قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتُ تَحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتِ فَتَطُوفُ بِهِ؟

قَالَ: «بَلَىٰ فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا نَاتِيهِ الْعَامَ» قَالَ: قُلْتُ: لَا
 قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ» قَالَ: فَاتَّيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا؟
 قَالَ: بَلَىٰ قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟
 قَالَ: بَلَىٰ قُلْتُ: فَلَمْ نُعْطِ الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسَكَ بِغُرْزِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ
 قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتِ وَنُطَوِّفُ بِهِ؟
 قَالَ: بَلَىٰ أَفَأَخْبَرُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ -
 قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ -: فَعَمِلْتُ لَذَلِكَ أَعْمَالًا قَالَ: فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»
 قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
 فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ
 فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ أَخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً
 حَتَّى تَنْحَرَ بَدَنَكَ وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ
 بَدَنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَانْحَرُوا
 وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ} [الممتحنة 10]

حَتَّى بَلَغَ (بِعِصْمِ الْكَوَاغِيرِ) فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ
 كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرْكِ فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ
 ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ
 فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ فَقَالُوا: الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ
 فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَهَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمَرٍ لَهُمْ
 فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فَلَانُ جَيِّدًا فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ
 فَقَالَ: أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ
 فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرْنِي أَنْظِرْ إِلَيْهِ فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ فَضْرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ
 فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا»
 فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ
 فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهِ ذِمَّتَكَ قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مَسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ»
 فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرِدُهُ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ
 قَالَ: وَبَيْنَ فُلْتِ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلُ بْنُ سُهَيْلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ
 أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةٌ
 فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا فَاقْتُلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ
 فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أُرْسِلَ
 فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [الفتح: 24]

حَتَّى بَلَغَ {الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ} [الفتح: 26]

وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْرُوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ وَ لَمْ يَقْرُوا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ:

مَعْرَةَ الْعُرَى: الْجَرْبُ تَزِيلُوا: تَمَيَّزُوا وَحَمِيَّتُ الْقَوْمِ: مَنَعَتْهُمْ حِمَايَةً وَأَحْمِيَّتُ الْحِمَى: جَعَلَتْهُ حِمَى لَا يَدْخُلُ وَأَحْمِيَّتُ الْحَدِيدِ وَأَحْمِيَّتُ الرَّجُلِ: إِذَا أَغْضَبَتْهُ إِحْمَاءُ

يقول تعالى ممثنا على عباده بالعافية من شر الكفار و من قتالهم فقال:

{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ} أي: أهل مكة {عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ}

أي: ما قدرتم عليهم و صاروا تحت ولايتكم بلا عقد و لا عهد

و هم نحو ثمانين رجلا انحدروا على المسلمين ليصيبوا منهم غرة فوجدوا المسلمين منتبهين فأمسكواهم

فتركواهم و لم يقتلوهم رحمة من الله بالمؤمنين إذ لم يقتلوهم

{وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} فيجازي كل عامل بعمله و يدبركم أيها المؤمنون بتدبيره الحسن.

مسلم 1808 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ

" أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ يُرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَ أَصْحَابِهِ فَأَخَذَهُمْ سِلَاحًا فَاسْتَحْيَاهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [الفتح: 24] 24

(هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)

*ثم ذكر تعالى الأمور المهيجة على قتال المشركين و هي كفرهم بالله ورسوله و صدهم رسول الله و من معه من المؤمنين أن يأتوا للبيت الحرام زائرين معظمين له بالحج و العمرة و هم الذين أيضا صدوا

{وَالَّذِي مَعَكُمْ} أي: محبوسا

{أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ} و هو محل ذبحه وهو مكة فمنعوه من الوصول إليه ظلما و عدوانا

و كل هذه أمور موجبة و داعية إلى قتالهم و لكن ثم مانع

(وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ)

و هو: وجود رجال ونساء من أهل الإيمان بين أظهر المشركين و ليسوا متميزين بمحلة أو مكان يمكن أن

لا ينالهم أذى فلولا هؤلاء الرجال المؤمنون و النساء المؤمنات الذين لا يعلمهم المسلمون

(أَنْ تَطَّوَّهُمْ) أي: خشية أن تطأوهم -أي: بجيشكم

{فَتَضِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةً بَغَيْرِ عِلْمٍ} و المعرة: ما يدخل تحت قتالهم من نيلهم بالأذى و المكروه و فائدة أخرى

*إثم و عيب و غرامة

{لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ} و هو: أنه ليدخل في رحمته من يشاء فيمن عليهم بالإيمان بعد الكفر و بالهدى بعد الضلال فيمنعكم من قتالهم لهذا السبب.

{لَوْ تَزَيَّلُوا} أى: لو زالوا من بين أظهرهم

{لَمَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} بأن نبيح لكم قتالهم و نأذن فيه و نصركم عليهم **25**

{إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةً} أَنفَقَ

(الْجَاهِلِيَّةَ) حيث أنفوا من كتابة {بسم الله الرحمن الرحيم} و أنفوا من دخول رسول الله ﷺ و المؤمنين إليهم فى تلك السنة لئلا يقول الناس: "دخلوا مكة قاهرين لقريش" و هذه الأمور و نحوها من أمور الجاهلية لم تزل فى قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت من كثير من المعاصي

{فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} فلم يحملهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به بل صبروا لحكم الله و التزموا الشروط التي فيها تعظيم حرمة الله و لو كانت ما كانت و لم يبالوا بقول القائلين و لا لوم اللاتمين.

{وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى} و هى "لا إله إلا الله" و حقوقها ألزمهم القيام بها فالتزموها وقاموا بها

{وَكَانُوا آتِقَىٰ بِهَا} من غيرهم {و} كانوا

{وَأَهْلَهَا} الذين استأهلوها لما يعلم الله عندهم و فى قلوبهم من الخير-أهلا للتقوى

و لهذا قال: **{وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} 26**

تحقيق رؤيا الرسول و بعض اوصافه و اصحابه 27-29

{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ}

و ذلك أن رسول الله ﷺ رأى في المدينة رؤيا أخبر بها أصحابه أنهم سيدخلون مكة و يطوفون بالبيت فلما جرى يوم الحديبية ما جرى و رجعوا من غير دخول لمكة كثر في ذلك الكلام منهم حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ: ألم نخبرنا أنا سنأتي البيت و نطوف به؟ فقال: "أخبرتكم أنه العام؟" قالوا: لا قال: "فإنكم ستأتونه و تطوفون به"

قال الله هنا: **{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ}**

أي: لا بد من وقوعها و صدقها و لا يقدر في ذلك تأخر تأويلها

{لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ}

فى هذه الحال المقتضية لتعظيم هذا البيت الحرام و أدائكم للنسك و تكميله بالحلق و التقصير و عدم
الخوف

{فَعَلِمَ} من المصلحة و المنافع {مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَبَجَعَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ} الدخول بتلك الصفة

{فَتَحَقَّ قَرِيبًا} 27

و لما كانت هذه الواقعة مما تشوشت بها قلوب بعض المؤمنين و خفيت عليهم حكمتها فبين تعالى حكمتها
و منفعتها و هكذا سائر أحكامه الشرعية فإنها كلها هدى و رحمة. أخبر بحكم عام فقال:

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى} الذي هو العلم النافع الذي يهدي من الضلالة و يبين طرق الخير و الشر.

{وَدِينِ الْحَقِّ} أى: الدين الموصوف بالحق و هو العدل و الإحسان و الرحمة.

و هو كل عمل صالح مزك للقلوب مطهر للنفوس مرب للأخلاق معل للأقدار.

{لِيُظْهِرَهُ} بما بعثه الله به-ليُعلِّيه

{عَلَى الَّذِينَ كَلِمَةٌ} بالحجة و البرهان و يكون داعيا لإخضاعهم بالسيف و السنان.

{وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا} 28

تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُبْتَدِئًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا لِسَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ
يُعِجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

سورة الحجرات - مدنية - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عُواثِقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ
أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾
إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

{تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ}

يخبر تعالى عن رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار أنهم بأكمل الصفات وأجل الأحوال

وأنهم {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ} أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم وساعون في ذلك بغاية جهدهم
فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة فلذلك ذل أعداؤهم لهم وانكسروا وقهرهم المسلمون

{رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} أي: متحابون متراحمون متعاطفون كالجسد الواحد يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه هذه
معاملتهم مع الخلق

و أما معاملتهم مع الخالق فإنك {تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُبْتَدِئًا} وصفهم كثرة الصلاة التي أجل أركانها الركوع والسجود.
{يَبْتَغُونَ} بتلك العبادة {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} أي: هذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم والوصول إلى ثوابه.

{سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}

علامة طاعتهم لله ظاهرة في وجوههم من أثر السجود والعبادة
أي: قد أثرت العبادة - من كثرتها وحسنها - في وجوههم حتى استنارت لما استنارت بالصلاة بواطنهم
استنارت بالجلال ظواهرهم.

{ذَلِكَ} المذكور

{مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ} أي: هذا وصفهم الذي وصفهم الله به مذكور بالتوراة هكذا.

{وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ} و أما مثلهم في الإنجيل فإنهم موصوفون بوصف آخر و أنهم في كمالهم و تعاونهم

{كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ} فراخه-سوقه و فروعه

{فَنَازَرَهُ} فوازرتة-اعانه-فراخه في الشباب و الاستواء.

{فَاسْتَغْلَظَ} ذلك الزرع أى: قوى و غلظ {فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ} جمع ساق

{يُتَجَبَّ الزَّرْعَ} زارعيه-من كماله و استوائه و حسنه و اعتداله

كذلك الصحابة رضي الله عنهم هم كالزرع في نفعهم للخلق و احتياج الناس إليهم بقوة إيمانهم و أعمالهم بمنزلة
[قوة عروق الزرع و سوقه]

و كون الصغير و المتأخر إسلامه قد لحق الكبير السابق و وازره و عاونه على ما هو عليه من إقامة دين الله
و الدعوة إليه كالزرع الذي أخرج شطأه فآزره فاستغلظ و لهذا قال:

{لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ}

حين يرون اجتماعهم و شدتهم على دينهم و حين يتصادمون هم و هم في معارك النزال و معامع القتال.

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}

فالصحابة رضي الله عنهم الذين جمعوا بين الإيمان و العمل الصالح قد جمع الله لهم بين المغفرة التي من لوازمها:—
وقاية شرور الدنيا و الآخرة و الأجر العظيم في الدنيا و الآخرة

*البخارى (3673) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ أَحَدِهِمْ وَ لَانْصِيفَهُ» 29

49-تفسير سورة الحجرات-و هي مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

أدب التعامل مع الرسول 5-1

{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}

لا تقضوا أمراً دون أمر الله و رسوله من شرائع دينكم فتبتدعوا
هذا متضمن للأدب مع الله تعالى و مع رسول الله ﷺ و التعظيم له و احترامه و إكرامه
فأمر الله عباداه المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالله و برسوله من امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه
و أن يكونوا ماشين خلف أوامر الله متبعين لسنة رسول الله ﷺ في جميع أمورهم
و أن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله و لا يقولوا حتى يقول و لا يأمرؤا حتى يأمر
فإن هذا حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله و هو عنوان سعادة العبد و فلاحه و بفواته تفوته السعادة الأبدية
و النعيم السرمدي

و فى هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول ﷺ على قوله فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ
وجب اتباعها و تقديمها على غيرها كائن ما كان

{وَأَتَقُوا اللَّهَ} و خافوا الله في قولكم و فعلكم أن يخالف أمر الله و رسوله

ثم أمر الله بتقواه عموماً و هي كما قال طلق بن حبيب:

1- أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله

2- و أن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله.

و قوله: **{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ}** أي: لجميع الأصوات في جميع الأوقات فى خفى المواضع و الجهات

{عَلِيمٌ} بالظواهر و البواطن و السوابق و اللواحق و الواجبات و المستحيلات و الممكنات

○ و فى ذكر الاسمين الكريمين -بعد النهي عن التقدم بين يدي الله و رسوله و الأمر بتقواه-

حث على امتثال تلك الأوامر الحسنة و الآداب المستحسنة و ترهيب عن عدم الامتثال. 1

ثم قال تعالى:-

(يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ)

و هذا أدب مع رسول الله ﷺ في خطابه أى: لا يرفع المخاطب له صوته معه فوق صوته
و لا يجهر له بالقول بل يخفض الصوت و يخاطبه بأدب و لين و تعظيم و تكريم و إجلال و إعظام

(بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ)

و لا يكون الرسول كأحدهم بل يميزوه في خطابهم كما تميز عن غيره فى وجوب حقه على الأمة و وجوب
الإيمان به و الحب الذي لا يتم الإيمان إلا به فإن في عدم القيام بذلك محذوراً

{**أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ**} خشية أن تبطل أعمالكم و خشية أن يحبط عمل العبد

{**وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**} و هو لا يشعر-لا تُحِسُّونَ بذلك

لما أن الأدب معه من أسباب حصول الثواب و قبول الأعمال 2

{**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ**} ثم مدح من غضض صوته عند رسول الله ﷺ

{**أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى**} بأن الله امتحن قلوبهم للتقوى

أى: ابتلاها و اختبرها فظهرت نتيجة ذلك بأن صلحت قلوبهم للتقوى

{**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**} ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم المتضمنة لزوال الشر و المكروه

{**وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**} و الأجر العظيم الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى و فى الأجر العظيم وجود المحبوب

و فى هذا دليل على أن الله يمتحن القلوب بالأمر و النهي و المحن

فمن لازم أمر الله و اتبع رضاه و سارع إلى ذلك و قدمه على هواه :-

تمحض و تمحض للتقوى و صار قلبه صالحاً لها

و من لم يكن كذلك علم أنه لا يصلح للتقوى

*البخاري 7302 عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ

لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَّ بَنِي تَمِيمٍ أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ التَّمِيمِيِّ الْحَنْظَلِيَّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ

وَأَشَارَ الْآخَرُ بِغَيْرِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ خِلَافِي

فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصَوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

فَنَزَلَتْ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: 2]

إِلَى قَوْلِهِ {عَظِيمٌ} [الحجرات: 3]

*البخاري 4846 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ فَقَالَ رَجُلٌ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنْكَسًّا رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟

فَقَالَ: شَرٌّ كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ

فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَ كَذَا

فَقَالَ مُوسَى: فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبَشَارَةٍ عَظِيمَةٍ فَقَالَ: " اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ:

إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَ لَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ "

*البخاري-470 عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ

فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِذَيْنِ فَجِئْتُهُ بِهِمَا

قَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ - أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ - قَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ

قَالَ: «لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا تَرْفَعَانِ أَصَوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»

*البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ

وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» **3**

{ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ }

بصوت مرتفع أكثرهم ليس لهم من العقل ما يحملهم على حسن الأدب مع رسول الله ﷺ وتوقيره.

—نزلت هذه الآيات الكريمة في أناس من الأعراب الذين وصفهم الله تعالى بالجفاء

و أنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله قدموا وافدين على رسول الله ﷺ

فوجدوه في بيته وحجرات نسائه فلم يصبروا و يتأدبوا حتى يخرج بل نادوه: يا محمد يا محمد

أي: اخرج إلينا فذمهم الله بعدم العقل حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله و احترامه

كما أن من العقل و علامته استعمال الأدب. **4**

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْلِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾
 وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ
 وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾
 فَضَلَا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا
 فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِئَءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ
 فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ
 وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ
 بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

فأدب العبد عنوان عقله و أن الله يريد به الخير و لهذا قال:

{وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} لما صدر عن عباده من الذنوب و الإخلال بالآداب
 (رَحِيمٌ) بهم حيث لم يعاجلهم بذنوبهم بالعقوبات و المثالات.

و هذا أيضاً من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها و استعمالها 5

(يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) و هو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يشتبوا في خبره و لا يأخذوه مجرداً

فإن في ذلك خطراً كبيراً و وقوعاً في الإثم

التثبت من الاخبار و حسن المعاملة 6-13

فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل حُكِمَ بموجب ذلك و مقتضاه فـ:—

حصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سبباً للندامة

{فَتَبَيَّنُوا} بل الواجب عند خبر الفاسق التثبت و التبيين

فإن دلت الدلائل و القرائن على صدقه عمل به و صدق

و إن دلت على كذبه كذب و لم يعمل به

ففيه دليل على:-

1- أن خبر الصادق مقبول و خبر الكاذب مردود 2- و خبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا

و لهذا كان السلف يقبلون روايات كثير من الخوارج المعروفين بالصدق ولو كانوا فاسقاً.

(أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) 6

(وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) أى: ليكن لديكم معلوماً أن رسول الله ﷺ بين أظهركم و هو الرسول الكريم البار الراشد الذي يريد بكم الخير و ينصح لكم و تريدون لأنفسكم من الشر و المضرّة ما لا يوافقكم الرسول عليه **(لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ)** و قد تريدون لأنفسكم من الشر و المضرّة ما لا يوافقكم الرسول عليه **○** و لو يطيعكم في كثير من الأمر لشق عليكم وأعنتكم ولكن الرسول يرشدكم كما قال الله: **{ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ }** [المؤمنون: 71]

{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنَ} و الله تعالى يحب إليكم الإيمان

(وَرَبَّيْنَاهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ) بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق و إيثاره و بما ينصب على الحق من الشواهد و الأدلة الدالة على صحته و قبول القلوب و الفطر له و بما يفعله تعالى بكم من توفيقه للإجابة إليه

{وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ} و يكره إليكم الكفر

(وَالْفُسُوقَ) أى: الذنوب الكبار

(وَالْعَصِيَانَ) هى ما دون ذلك من الذنوب بما:-

- 1- أودع فى قلوبكم من كراهة الشر و عدم إرادة فعله 2- و بما نصبه من الأدلة و الشواهد على فساد
- 3- و عدم قبول الفطر له و بما يجعله الله من الكراهة في القلوب له

{أُولَئِكَ} أى: الذين زين الله الإيمان في قلوبهم و حبّه إليهم و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان

{هُمُ الرّاشِدُونَ} أى: الذين صلحت علومهم و أعمالهم و استقاموا على الدين القويم و الصراط المستقيم.

و ضدهم الغاوون الذين حب إليهم الكفر و الفسوق و العصيان و كره إليهم الإيمان و الذنب ذنبهم

فإنهم لما فسقوا طبع الله على قلوبهم **7**

و لما **{زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}** و لما لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة قلب الله أفئدتهم.

{فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً} ذلك الخير الذي حصل لهم هو بفضل الله عليهم و إحسانه لا بحولهم و قوتهم.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ} بمن يشكر النعمة فيوفقه لها ممن لا يشكرها و لا تليق به

(حَكِيمٌ) فيضع فضله حيث تقتضيه حكمته **8**

{ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا } هذا متضمن لنهي المؤمنين عن أن يبغى بعضهم على بعض

و يقاتل بعضهم بعضاً و أنه إذا اقتتل طائفتان من المؤمنين:

{ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا } فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير بالإصلاح بينهم

و التوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح و يسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك فإن صلحتا فيها و نعمت

{ فَإِنْ بَغَتْ } اعتدت

{ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرَى } إحدى الطائفتين و أبت الإجابة إلى ذلك

(فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نَفِيءَ) ترجع

(إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) ما حد الله و رسوله من فعل الخير و ترك الشر الذي من أعظمه الاقتتال

*البخارى 2444- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: "تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ" منعته من الظلم

*البخارى 2691- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي

«فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَرَكِبَ حِمَارًا فَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَ هِيَ أَرْضُ سَبَخَةَ»

فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي وَ اللَّهُ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ:

وَ اللَّهُ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَشَتَمَهُ

فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ (=أغصان النخل المجردة من ورقه) وَ الْأَيْدِي وَ النَّعَالِ

فَبَلَّغْنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ: **{ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا }** [الحجرات: 9]

و قوله **{ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ }** هذا أمر بالصلح و بالعدل في الصلح فإن الصلح قد يوجد

و لكن لا يكون بالعدل بل بالظلم و الحيف على أحد الخصمين

فهذا ليس هو الصلح المأمور به

فيجب أن لا يراعى أحدهما لقراءة أو وطن أو غير ذلك من المقاصد والأغراض التي توجب العدول عن العدل

{ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }

أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات التي تولوها

حتى إنه قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله و عياله في أدائه حقوقهم

و في الحديث الصحيح: مسند أحمد ط الرسالة 6492

الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينُ

الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَ أَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا " (أي كانت لهم عليه ولاية)

*و بهذا استدل البخاري وغيره علي انه لا يخرج من الايمان بالمعصية و ان عظمت لا كما يقوله الخوارج و

من تابعهم من المعتزلة و نحوهم

*البخارى 3746 عَنْ الْحَسَنِ سَمِعَ أَبَا بَكْرَةَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَ الْحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً وَ يَقُولُ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌو لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

○ فكان كان قال اصلح الله به بين اهل الشام و العراق بعد الحروب الطويلة 9

{**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**} هذا عقد عقده الله بين المؤمنين أنه إذا وجد من أي شخص كان في مشرق الأرض و مغربها الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر فإنه أخ للمؤمنين أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم و يكرهون له ما يكرهون لأنفسهم و لهذا قال النبي ﷺ آمراً بحقوق الأخوة الإيمانية:

*البخارى 6064 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا

*البخارى 481 - عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَ شَبَّكَ أَصَابِعَهُ ○ و لقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض و بما به يحصل التآلف والتوادد والتواصل بينهم كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض فمن ذلك إذا وقع الاقتتال بينهم الموجب لتفريق القلوب وتباغضها و تدابرها

{**فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**} فليصلح المؤمنون بين إخوانهم و ليسعوا فيما به يزول شنائهم.

{**وَاتَّقُوا اللَّهَ**}

ثم أمر بالتقوى عموماً و رتب على القيام بحقوق المؤمنين و بتقوى الله الرحمة فقال: {**لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ**} و إذا حصلت الرحمة حصل خير الدنيا و الآخرة

و دل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة 10

و في هاتين الآيتين من الفوائد غير ما تقدم:

- 1- أن الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية و لهذا كان من أكبر الكبائر
- 2- و أن الإيمان و الأخوة الإيمانية لا تزول مع وجود القتال كغيره من الذنوب الكبار التي دون الشرك و على ذلك مذهب أهل السنة و الجماعة
- 3- و على وجوب الإصلاح بين المؤمنين بالعدل
- 4- و على وجوب قتال البغاة حتى يرجعوا إلى أمر الله و على أنهم لو رجعوا لغير أمر الله بأن رجعوا على وجه لا يجوز الإقرار عليه و التزامه أنه لا يجوز ذلك و أن أموالهم معصومة

لأن الله أباح دماءهم وقت استمرارهم على بغيتهم خاصة دون أموالهم.

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} وهذا أيضاً من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض أن

{ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نَفْسٌ مِّنْ نَّفْسٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهَا }

بكل كلام و قول وفعل دال على تحقير الأخ المسلم فإن ذلك حرام لا يجوز

و هو دال على إعجاب الساخر بنفسه و عسى أن يكون المسخور به خيراً من الساخر كما هو الغالب والواقع

فإن السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق متحل بكل خلق ذميم

ولهذا قال النبي ﷺ "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"

*مسلم 91- إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ (=دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا) وَ غَمَطُ النَّاسِ (احتقارهم)»

ثم قال: **{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}**

أي: لا يعب بعضكم على بعض و اللمز: بالقول و الهمز: بالفعل

و كلاهما منهي عنه حرام متوعد عليه بالنار.

كما قال تعالى: **{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}** الآية و سمى الأخ المؤمن نفساً لأخيه

لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد

و لأنه إذا همز غيره أوجب للغير أن يهمزه فيكون هو المتسبب لذلك.

{وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ} أي: لا يعير أحدكم أخاه و يلقيه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه

و هذا هو التنابر -و أما الألقاب غير المذمومة فلا تدخل في هذا.

{بِئْسَ} أي: بئسما تبدلتما عن الإيمان و العمل بشرائعه و ما تقتضيه بالإعراض عن أوامره و نواهيه

بئس الصفة و **{إِلَّا تَسْمُ الْفُسُوقُ}**

و هو السخرية و اللمز و العصيان الذي هو التنابر بالألقاب

{بَعْدَ} ما **{إِلَّا يَمَنُ}** دخلتم في الإسلام و عقلتموه

{وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}

فهذا هو الواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى و يخرج من حق أخيه المسلم باستحلاله و الاستغفار

و المدح له مقابلة على ذمه. **{وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}**

فالناس قسمان: 1- ظالم لنفسه غير تائب 2- و تائب مفلح و لا ثم قسم ثالث غيرهما 11

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا
 أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾
 يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ
 وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾
 قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾
 يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بِلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾
 إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

{يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ} نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء بالمؤمنين

فـ {إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} وذلك كالظن الخالى من الحقيقة و القرينة

و كظن السوء الذي يقترب به كثير من الأقوال و الأفعال المحرمة فإن بقاء ظن السوء بالقلب لا يقتصر صاحبه
 على مجرد ذلك بل لا يزال به حتى يقول ما لا ينبغي و يفعل ما لا ينبغي
 و في ذلك أيضا إساءة الظن بالمسلم و بغضه و عداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

{وَلَا تَجَسَّسُوا} أى: لا تفتشوا عن عورات المسلمين ولا تتبعوها و اتركوا المسلم على حاله

و استعملوا التغافل عن أحواله التي إذا فتشت ظهر منها ما لا ينبغي.

*البخارى (6066) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَ لَا تَجَسَّسُوا (=الاستماع الي حديث القوم و هم كارهون او يتسمع على ابوابهم)

وَ لَا تَجَسَّسُوا وَ لَا تَتَنَاجَشُوا (=أن يزيد في ثمن السلعة و هو لا يريد شراءها ليوهم غيره بنفاستها)

وَ لَا تَحَاسَدُوا وَ لَا تَبَاغَضُوا وَ لَا تَدَابَرُوا وَ كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»

سنن أبي داود 4880 - عَنْ أَبِي بَرزَةَ الأسلمي ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَ لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَخْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَ لَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ
 فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَ مَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»

{وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا} و الغيبة كما قال النبي ﷺ: " ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه "

*مسلم (2589) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَهُ» (=قلت فيه البهتان وهو الباطل)

ذكر العلماء أن الغيبة تباح في ستة مواضع نظمها الجوهري في قوله :

لست غيبة جَوَزَ و خذها ...منظمة كأمثال الجواهر

تظلم و استعن و استفت حذر...و عرّف اذكرن فسق المجاهر

الغيبة محرمة شرعا ولكن هناك ستة مواضع أو ستة أسباب تباح فيها الغيبة لغرض صحيح شرعي وهى:-

- 1 - التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم للقاضى فيقول : ظلمني فلان بكذا و كذا
- 2 - الاستعانة على تغيير المنكر و رد العاصي الى الصواب
- كأن يقول : فلان يعمل يعمل كذا فازجروه عنه أو نحو ذلك فان لم يكن مقصده إزالة المنكر كان حراما
- 3 - الاستفتاء فيقول للمفتي : ظلمني أبي أو أخي أو فلان فهل له ذلك ؟
- و ما طريقي في تحصيل حقي منه ؟فهذا جائز للحاجة و لكن الافضل أن يقول:-ما تقول في رجل أمره كذا ؟
- فانه يحصل به الغرض من غير تعيين و مع ذلك فالتعيين جائز
- 4- تحذير المسلمين من الشر و نصيحتهم و ذلك من وجوه منها:
- أ - جرح المجروحين من الرواة والشهود
- ب - المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته فيجب ذكر المساوى التي فيه بنية النصيحة
- 5 - أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر
- فيجوز ذكره بما يجاهر به و يحرم ذكره بغيره من العيوب الا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكر
- 6- التعريف: فاذا كان الانسان معروفا بلقب كالأعمش أو الأعرج و غيرهم جاز تعريفهم بذلك
- و يحرم إطلاقه بنية التنقص أو الاستهزاء و لو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى
- *أبي داود 4875 - عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَ كَذَا قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ: وَ حَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ: «مَا أَحَبُّ إِلَيَّ حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا»

ثم ذكر مثلاً منفراً عن الغيبة فقال: {أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ}

شبهه أكل لحمه ميتاً المكروه للنفوس غاية الكراهة باغتيابه

فكما أنكم تكرهون أكل لحمه و خصوصاً إذا كان ميتاً فاقد الروح فكذلك فلتكرهوا غيبته و أكل لحمه حياً.

{وَاتَّقُوا اللَّهَ} و خافوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه

{إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ} و التواب الذي يأذن بتوبة عبده فيوفقه لها ثم يتوب عليه بقبول توبته

(رَجِمَ) بعباده حيث دعاهم إلى ما ينفعهم و قبل منهم التوبة

و في هذه الآية دليل على:-

1- التحذير الشديد من الغيبة2- و أن الغيبة من الكبائر لأن الله شبهها بأكل لحم الميت و ذلك من الكبائر.

*الغيبة محرمة بالاجماع لا يستثنى من ذلك الا ما رجحت مصلحته كما في الجرح و التعديل و النصيحة كقوله لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر:

*البخارى 6131 - أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: «اُذْنُوا لَهُ فَيُسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ - أَوْ يَسُ أَخُو الْعَشِيرَةِ -» فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتُ مَا قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ؟

فَقَالَ: «أَيُّ عَائِشَةَ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ - أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ - اتَّقَاءَ فُحْشِهِ» **12**

(يَتَأَيَّأُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) يخبر تعالى أنه خلق بني آدم من أصل واحد و جنس واحد

و كلهم من ذكر و أنثى و يرجعون جميعهم إلى آدم و حواء

و لكن الله تعالى بث منهما رجالا كثيرا و نساء و فرّقهم

(وَجَعَلْنَاكُمْ) و جعلهم (شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) أى: قبائل صغارًا و كبارًا (لِتَعَارَفُوا) و ذلك لأجل أن يتعارفوا

فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر و التعاون و التوارث و القيام بحقوق الأقارب و لكن الله جعلهم شعوبًا وقبائل لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها مما يتوقف على التعارف و لحوق الأنساب

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى) و لكن الكرم بالتقوى فأكرمهم عند الله أتقاهم

و هو أكثرهم طاعة و انكفافًا عن المعاصى لا أكثرهم قرابة و قومًا و لا أشرفهم نسبًا

(إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) و لكن الله تعالى عليم خبير يعلم من يقوم منهم بتقوى الله ظاهرًا و باطنًا

ممن يقوم بذلك ظاهرًا لا باطنًا فيجازي كلا بما يستحق.

و في هذه الآية دليل على:- أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة لأن الله جعلهم شعوبًا و قبائل لأجل ذلك.

*البخارى 3353 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتَقَاهُمْ» فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا»

*مسلم 2564 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَ أَمْوَالِكُمْ وَ لَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَ أَعْمَالِكُمْ» **13** حقيقة الايمان 14-18

{قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا} يخبر تعالى عن مقالة الأعراب الذين دخلوا في الإسلام في عهد رسول الله ﷺ دخولا من غير بصيرة و لا قيام بما يجب و يقتضيه الإيمان أنهم ادعوا مع هذا وقالوا: آمنا أي: إيماننا كاملا مستوفيا لجميع أموره هذا موجب هذا الكلام فأمر الله رسوله أن يرد عليهم فقال: **{قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا}** أي: لا تدعوا لأنفسكم مقام الإيمان ظاهرا و باطنا كاملا.

{وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} أي: دخلنا في الإسلام و اقتصروا على ذلك **{و}** السبب في ذلك أنه **{وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}** و إنما آمنتكم خوفاً أو رجاء أو نحو ذلك مما هو السبب في إيمانكم فلذلك لم تدخل بشاشة الإيمان في قلوبكم و في قوله: **{وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}** أي: وقت هذا الكلام الذي صدر منكم فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك فإن كثيرا منهم من الله عليهم بالإيمان الحقيقي و الجهاد في سبيل الله **{وَلِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ}** بفعل خير أو ترك شر

{لَا يَلْتَكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا}

أي: لا ينقصكم منها مثقال ذرة بل يوفيكهم إياها أكمل ما تكون لا تفقدون منها صغيرا و لا كبيرا **{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** أي: غفور لمن تاب إليه وأتاب رحيم به حيث قبل توبته 14

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} أي: على الحقيقة **{الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا}** في إيمانهم

{وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أي: من جمعوا بين الإيمان و الجهاد في سبيله -فإن من جاهد الكفار دل ذلك على الإيمان التام في القلب لأن من جاهد غيره على الإسلام و القيام بشرائعه فجهاده لنفسه على ذلك من باب أولى و أخرى و لأن من لم يقو على الجهاد فإن ذلك دليل على ضعف إيمانه و شرط تعالى في الإيمان عدم الريب و هو الشك لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقيني بما أمر الله بالإيمان به الذي لا يعتريه شك بوجه من الوجوه.

و قوله: **{أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}** أي: الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة

فإن الصدق دعوى كبيرة في كل شيء يدعى يحتاج صاحبه إلى حجة و برهان -و أعظم ذلك دعوى الإيمان الذي هو مدار السعادة و الفوز الأبدي

و الفلاح السرمدى فمن ادعاه و قام بواجباته و لوازمه فهو الصادق المؤمن حقا -و من لم يكن كذلك علم أنه ليس بصادق في دعواه و ليس لدعواه فائدة

فإن الإيمان في القلب لا يطلع عليه إلا الله تعالى 15

فإثباته و نفيه من باب تعليم الله بما في القلب و هذا سوء أدب و ظن بالله و لهذا قال:

{ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ } قل -أيها النبي- لهؤلاء الأعراب: أتخبرون الله بدينكم و بما في ضمائرکم

○ و هذا شامل للأشياء كلها التي من جملتها ما في القلوب من الإيمان و الكفران و البر و الفجور

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

فإنه تعالى يعلم ذلك كله و يجازى عليه إن خيراً فخير و إن شراً فشر.

هذه حالة من أحوال من ادعى لنفسه الإيمان و ليس به

- فإنه إما أن يكون ذلك تعليمًا لله و قد علم أنه عالم بكل شيء

-و إما أن يكون قصدهم بهذا الكلام المنة على رسوله و أنهم قد بذلوا له و تبرعوا بما ليس من مصالحهم

بل هو من حظوظه الدنيوية و هذا تجمل بما لا يجمل و فخر بما لا ينبغي لهم أن يفتخروا على رسوله به

فإن المنة لله تعالى عليهم فكما أنه تعالى يمن عليهم بالخلق و الرزق و النعم الظاهرة و الباطنة

فمنته عليهم بهدايتهم إلى الإسلام ومنته عليهم بالإيمان أعظم من كل شيء **16**

و لهذا قال تعالى: **{ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا }** يَمُنُّ هؤلاء الأعراب عليك بإسلامهم و متابعتهم و نصرتهم لك

(قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ) قل لهم: لا تَمُنُوا عليّ دخولكم في الإسلام فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم

(بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ) و لله المنة عليكم فيه أن وفقكم للإيمان به و برسوله

(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في إيمانكم. كما قال النبي ﷺ

في البخارى 4330 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَاصِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ لَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ يَ وَ كُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ يَ وَ عَالَةً (=فقراء) فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ يَ» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمَنُ

قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمَنُ قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ:

جِئْتَنَا كَذًا وَ كَذَا أَتَرَضُونَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَ الْبَعِيرِ وَ تَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رَحَالِكُمْ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِي الْأَنْصَارِ وَ شِعْبَهَا الْأَنْصَارُ شِعَارُ وَ النَّاسُ دِتَارُ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ

{ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } أى: الأمور الخفية فيهما التي تخفى على الخلق كالذي في لجج البحار

و مهامه القفار و ما جنه الليل أو وراه النهار يعلم قطرات الأمطار و حبات الرمال و مكنونات الصدور و خبايا

الأمور [الأنعام: 59] **{ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ }**

يحصى عليكم أعمالكم و يوفيكُم إيها و يجازيكم عليها بما تقتضيه رحمته الواسعة و حكمته البالغة **18**

سورة ق-مكية-بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾
 إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾
 بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا
 وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾
 تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾
 وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾
 كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ
 كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴿١٤﴾ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

صحيح مسلم (891)

انكار المشركين للبعث و أدلته و ثبوته 11-1

أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَأَلَ أَبَا وَقْدٍ اللَّيْثِيَّ: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟
 فَقَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِـ (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) وَ(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)

*مسلم (8736) عَنْ بِنْتِ لِحَارِثَةَ بِنِ النَّعْمَانِ قَالَتْ: «مَا حَفِظْتُ قِ إِلَّا مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ بِهَا كُلَّ جُمُعَةٍ» قَالَتْ: وَكَانَ تَنْوَرُنَا وَتَنْوُرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاحِدًا (=إشارة إلى حفظها ومعرفتها بأحوال النبي ﷺ وقربها من منزله)

قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ {

يقسم تعالى بالقرآن المجيد أي: وسيع المعاني عظيمها كثير الوجوه كثير البركات جزيل المبرات.

و المجد: سعة الأوصاف وعظمتها وأحق كلام يوصف بهذا هذا القرآن الذي قد احتوى على علوم الأولين
 و الآخرين الذي حوى من الفصاحة أكملها و من الألفاظ أجزلها ومن المعاني أعمها وأحسنها
 و هذا موجب لكمال اتباعه و سرعة الانقياد له و شكر الله على المنة به
 و لكن أكثر الناس لا يقدر نعم الله قدرها كقوله

{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: 42] 1

{بَلْ عَجِبُوا} أي: المكذبون للرسول ﷺ {أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ} أي: ينذرهم ما يضرهم و يأمرهم بما ينفعهم

و هو من جنسهم يمكنهم التلقي عنه و معرفة أحواله و صدقه. فتعجبوا من أمر لا ينبغي لهم التعجب منه

بل يتعجب من عقل من تعجب منه. {فَقَالَ الْكَافِرُونَ}

الذين حملهم كفرهم و تكذيبهم لا نقص بذكائهم و آرائهم

{ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ } أى: مستغرب و هم في هذا الاستغراب بين أمرين:

1- إما صادقون في استغرابهم و تعجبهم فهذا يدل على غاية جهلهم و ضعف عقولهم بمنزلة المجنون الذي يستغرب كلام العاقلو بمنزلة الجبان الذي يتعجب من لقاء الفارس للفرسان و بمنزلة البخيل الذي يستغرب سخاء أهل السخاء فأى ضرر يلحق من تعجب من هذه حاله؟ و هل تعجبه إلا دليل على زيادة و ظلمه و جهله؟

2- و إما أن يكونوا متعجبين على وجه يعلمون خطأهم فيه فهذا من أعظم الظلم و أشنعه.

كقوله **{ أَكَاَنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ }** [يونس: 2] **2**

○ ثم ذكر وجه تعجبهم فقال: **{ أَوَلَا مِمَّنَّا وَكُنَّا نُرَابًا }**

فقاسوا قدرة من هو على كل شيء قدير الكامل من كل وجه بقدرة العبد الفقير العاجز من جميع الوجوه وقاسوا الجاهل الذي لا علم له بمن هو بكل شيء عليم

(**ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ**) كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى ما كنا عليه؟ ذلك رجوع بعيد الوقوع **3**

(**قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ**) الذي يعلم ما تنقص الأرض من أجسادهم مدة مقامهم في برزخهم

(**وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ**) و قد أحصى في كتابه الذي هو عنده محفوظ عن التغيير و التبديل

كل ما يجري عليهم في حياتهم و مماتهم و هذا الاستدلال بكمال علمه و سعته التي لا يحيط بها إلا هو على قدرته على إحياء الموتى **4**

{ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ } كلامهم الذي صدر منهم إنما هو عناد و تكذيب للحق الذي هو أعلى أنواع الصدق

{ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ } مختلط مشتبه لا يشتون على شيء و لا يستقر لهم قرار

كقوله **{ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ }** [الذاريات: 9] يصرف عنه من صُرف عن الإيمان به لإعراضه عن أدلة الله و براهينه اليقينية فلم يوفق إلى الخير- فتارة يقولون عنك: إنك ساحر و تارة مجنون و تارة شاعر

و كذلك جعلوا القرآن عضيعن: أقساما(منهم من يقول انه سحر أو يقولون كهانة ... ليصدوا الناس عنه) **5**

{ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ } لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة و شد رحل بل هو في غاية السهولة فينظرون

{ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا } قبة مستوية الأرجاء ثابتة البناء **{ وَزَيَّنَّاهَا }** مزينة بالنجوم الخنس و الجوار الكنس

التي ضربت من الأفق إلى الأفق في غاية الحسن و الملاحاة

{وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} لا ترى فيها عيبًا و لا فروجًا و لا خلالات و لا إخلالات. كقوله

{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [المالك: 3]

{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [المالك: 4] كليل متعب ان يري عيبا او نقصا

قد جعلها الله سقفا لأهل الأرض و أودع فيها من مصالحهم الضرورية ما أودع **6**

{و} إلى **{وَالْأَرْضِ}** كيف **{مَدَدْنَاهَا}** و وسعناها حتى أمكن كل حيوان السكون فيها و الاستقرار و الاستعداد

لجميع مصالحه **{وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ}** و أرساها بالجمال لتستقر من التزلزل و التموج

{وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ} أى: من كل صنف من أصناف النبات

{يَهيج}

حسن نظر التي تسر ناظرها و تعجب مبصرها و تفر عين راقمها لأكل بني آدم و أكل بهائمهم و منافعهم **7**

{تَبْصِرَةٌ} يتبصر بها من عمى الجهل **{وَذِكْرَى}**

يتذكر بها ما ينفع في الدين و الدنيا و يتذكر بها ما أخبر الله به و أخبرت به رسله و ليس ذلك لكل أحد

بل **{لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}**

إلى الله أى: خاضع خائف وجل رجاء الى الله-مقبل عليه بالحب والخوف والرجاء و إجابة داعيه

و أما المكذب والمعرض فما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون **8**

{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا} و كذلك ما يخرج الله بالمطر

{فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ} و خص من تلك المنافع بالذكر الجنات المشتملة على الفواكه اللذيذة

من العنب و الرمان و الأترج و التفاح و غير ذلك من أصناف الفواكه

{وَحَبِّ الْحَصِيدِ} و التي تحتها من حب الحصيد أى: من الزرع المحصود من بر و شعير و ذرة و أرز و دخن

و غيره. فإن في النظر في هذه الأشياء **{بُھِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}** **9**

{وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ} و من النخيل الباسقات أى: الطوال التي يطول نفعها و ترتفع إلى السماء

حتى تبلغ مبلغًا لا يبلغه كثير من الأشجار-حوالي 30 متر

{هَاطِلٌ نَضِيدٌ} متراكب بعضه فوق بعض- فتخرج من الطلع النضيد في قنوانها **10**

{رِزْقًا لِلْعِبَادِ} ما هو رزق للعباد قوتًا وأدمًا وفاكهة يأكلون منه ويدخرون هم ومواشيهم

و حاصل هذا:-

- 1- أن ما فيها من الخلق الباهر و الشدة و القوة دليل على كمال قدرة الله تعالى
- 2- و ما فيها من الحسن و الإتقان و بديع الصنعة و بديع الخلقة دليل على أن الله أحكم الحاكمين
- 3- و ما فيها من المنافع والمصالح للعباد دليل على رحمة الله التي وسعت كل شيء وجوده الذي عم كل حي
- 4- و ما فيها من عظم الخلقة و بديع النظام دليل على أن الله تعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ولم يكن له كفوًا أحد و أنه الذي لا تنبغي العبادة و الذل والحب إلا له تعالى.
- 5- و ما فيها من إحياء الأرض بعد موتها دليل على إحياء الله الموتى ليجازيهم بأعمالهم

و لهذا قال: **{ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ }** كما قال الله

{ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [غافر: 57]

و أحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة قد أجذبت و قحطت فلا زرع فيها و لا نبات كما أحيينا بذلك الماء الأرض الميتة نخرجكم يوم القيامة أحياء بعد الموت **11**

○ولما ذكرهم بهذه الآيات السماوية والأرضية خوفهم أخذت الأمم و ألا يستمروا على ما هم عليه من التكذيب فيصيبهم ما أصاب إخوانهم من المكذبين فقال:

{ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ } أي: كذب الذين من قبلهم من الأمم رسلهم الكرام و أنبياءهم العظام كـ "نوح" كذبه قومه

تذكير بالامم السابقة المنكرة
بالبعث 12-15

{ وَأَصْحَابُ الرِّيسِ } البئر و هى بئر كانوا مقيمين حولها يعبدون الأصنام

{ وَثَمُودُ } كذبوا صالحًا **12**

{ وَعَادٌ } و عاد كذبوا (هودًا) **{ وَفِرْعَوْنُ }** **{ وَلِإِخْوَنُ لُوطٍ }** كذبوا (لوطًا) **13**

{ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ } الشجر الكثير الملتف كذبوا (شعبيًا)

{ وَقَوْمُ ثِيَجٍ } الحميري- و قوم تبع و تبع كل ملك ملك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام

فقوم تبع كذبوا الرسول الذي أرسله الله إليهم و لم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول و أي تبع من التبابعة لأنه -و الله أعلم- كان مشهورًا عند العرب لكونهم من العرب العرباء الذين لا تخفى ماجرياتهم على العرب خصوصًا مثل هذه الحادثة العظيمة.

{ كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلِ }

كُلُّ مَنْ هَذِهِ الْأُمَمِ وَهَؤُلَاءِ الْقُرُونِ كَذَّبَ رَسُوْلَهُ وَ مَنْ كَذَّبَ رَسُوْلًا فَكَأَنَّمَا كَذَّبَ جَمِيعَ الرُّسُلِ
قَوْلُهُ: **{ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ }** [الشُّعَرَاءُ: 105]

وَ إِنَّمَا جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ وَاحِدٌ فَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَوْ جَاءَهُمْ جَمِيعُ الرُّسُلِ كَذَّبُوهُمْ

(نَحْنُ وَبَعْدُ) فحق عليهم الوعيد الذي توعدهم الله به على كفرهم **14**

ثم استدل تعالى بالخلق الأول -و هو المنشأ الأول- على الخلق الآخرو هو النشأة الآخرة.
فكما أنه الذي أوجدتهم بعد العدم كذلك يعيدهم بعد موتهم و صيرورتهم إلى الرفات و الرمم

فقال: {أَفَعَيْنَا} أى: أفعجزنا و ضعفت قدرتنا {بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ} ؟

ليس الأمر كذلك فلم نعجز و نعي عن ذلك-أَفَعَجَزْنَا عن ابتداع الخلق الأول الذي خلقناه و لم يكن شيئاً
فنعجز عن إعادتهم خلقاً جديداً بعد فنائهم

{بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ} شك

{مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} و ليسوا في شك من ذلك

و إنما هم في لبس من خلق جديد هذا الذي شكوا فيه و التبس عليهم أمره مع أنه لا محل للبس فيه
لأن الإعادة أهون من الابتداء

*البخارى-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ وَ شَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ

فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ: فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي وَ لَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ

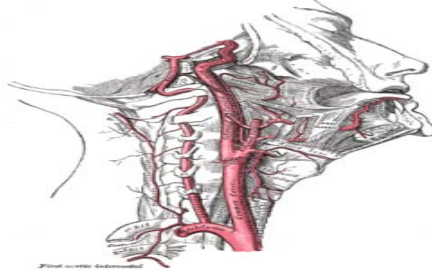
وَ أَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ: فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لِي كُفْتًا أَحَدٌ 15

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾
 إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾
 وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾
 وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ
 ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ ﴿٢٣﴾ أَلَقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٥﴾
 الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ
 وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَى وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾
 مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾
 وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ
 وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ}

خلق الانسان و علمه و احواله 16-18

يخبر تعالى أنه المتفرد بخلق جنس الإنسان ذكورهم و إناثهم و أنه يعلم أحواله و ما يسره و يوسوس في صدره



{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}

وأنه أقرب إليه من حبل الوريد الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان و هو العرق المكتنف لشجرة النحر

*أي الملائكة {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} [الواقعة: 85]

كما قال تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]

○ و هذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه المطلع على ضميره و باطنه القريب منه في جميع أحواله فيستحي منه أن يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره و كذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال فيجلهم و يوقرهم ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه مما لا يرضي رب العالمين

*البخارى (6664) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَرْفَعُهُ قَالَ

«إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأَمْتِي عَمَّا وَسَّوَسْتُ أَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ» 16

و لهذا قال: { **إِذْ يَنْفَخُ الْمُسْتَقِيمَانِ** } أى:الملكين- يتلقيان عن العبد أعماله كلها واحد

{ **عَنِ الْيَمِينِ** } يكتب الحسنات { **و** } الآخر { **وَعَنِ الشَّمَالِ** } يكتب السيئات و كل منهما

{ **قَمِيدٌ** } بذلك متهيئ لعمله الذي أعد له ملازم له - مترصد **17**

{ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ** } خير أو شر { **إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** } أى:مراقب له حاضر لحاله

كما قال تعالى: { **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ 10 كِرَامًا كَاتِبِينَ 11 يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ 12** } { **الانفطار 18**

{ **وَجَاءَتْ** } هذا الغافل المكذب بآيات الله { **سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ** } الذي لا مرد له و لا مناص

*البخارى -6510 أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعٌ - أَوْ عُلبَةٌ فِيهَا مَاءٌ يَشْكُ عُمَرُ - فَجَعَلَ يَدْخُلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ

فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ

فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَ مَالَتْ يَدُهُ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «الْعُلبَةُ مِنَ الْخَشَبِ وَ الرُّكُوعُ مِنَ الْأَدَمِ»

{ **ذَلِكَ مَا** } **ما:-1-معرى الذى2-أو ما نافية اي لك ما كنت تقدر علي الفرار منه**

{ **كُنْتُ مِنْهُ نَجِيدٌ** } أى: تتأخر و تنكص عنه **19**

{ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ** }

اليوم الذي يلحق الظالمين ما أوعدهم الله به من العقاب و المؤمنين ما وعدهم به من الثواب.

*** سنن الترمذي ت شاكر - 3243 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«كَيْفَ أَنْعَمَ وَقَدْ التَقَمَ صَاحِبُ الْقُرْنِ الْقُرْنَ وَ حَنَى جَبْهَتَهُ وَ أَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ»

قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبَّنَا» **20**

{ **وَحَلَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ** } يسوقها إلى موقف القيامة-ملك يسوقها الي المحشر فلا يمكنها أن تتأخر عنه

{ **وَشَهِيدٌ** } يشهد عليها بأعمالها خيرها و شرها -و ملك يشهد عليه بأعماله

و هذا يدل على اعتناء الله بالعباد و حفظه لأعمالهم و مجازاته لهم بالعدل فهذا الأمر مما يجب أن يجعله

العبد منه على بال و لكن أكثر الناس غافلون **21**

و لهذا قال: { **لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا** } يقال للمعرض المكذب يوم القيامة هذا الكلام توبيخًا و لومًا و تعنيفًا-

أى:لقد كنت مكذبًا بهذا تاركًا للعمل له فالآن

{ **فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ** } الذي غطى قلبك فكشروا نومك و استمر إعراضك

{ **فَصَرَكَ أَيْمَمَ حَدِيدٍ** } قوى-ينظر ما يزعجه و يروعه من أنواع العذاب و النكال.

حقيقة البعث

و الموت و حوار

الكافر مع قرينه

يوم القيامة 19-30

أو هذا خطاب من الله للعبد فإنه في الدنيا في غفلة عما خلق له و لكنه يوم القيامة ينتبه ويزول عنه وسنه و لكنه في وقت لا يمكنه أن يتدارك الفارط و لا يستدرك الفائت و هذا كله تخويف من الله للعباد و ترهيب بذكر ما يكون على المكذبين في ذلك اليوم العظيم **22**

{ **وَقَالَ قَرِينُهُ** } أى: قرين هذا المكذب المعرض من الملائكة الذين وكلهم الله على حفظه وحفظ أعماله فيحضره يوم القيامة و يحضر أعماله و يقول:-

{ **هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي** }

قد أحضرت ما جعلت عليه-محفوظ معد حاضر-من حفظه و حفظ عمله فيجازى بعمله **23**

و يقال لمن استحق النار: { **أَلْقِيَٰ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** }

كثير الكفر والعناد لآيات الله المكثرة من المعاصي المجترى على المحارم و المآثم **24**

{ **مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ** } أى: يمنع الخير الذي عنده الذي أعظمها لإيمان بالله وملائكته و كتبه و رسله مناع لنفع ماله و بدنه

{ **مُعْتَدٍ** } على عباد الله و على حدوده

{ **مُرِيْبٍ** } أى: شك في وعد الله و وعيده فلا إيمان و لا إحسان

و لكن وصفه الكفر و العدوان و الشك و الريب و الشح و اتخاذ الآلهة من دون الرحمن **25**

{ **الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** } عبد معه غيره ممن لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا

{ **فَالْقِيَاءُ** } أيها الملكان القرينان { **فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ** } الذي هو معظمها و أشدها و أشنعها **26**

{ **قَالَ قَرِينُهُ** } الشيطان متبرئا منه حاملا عليه إثمه

{ **رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ** } لأنني لم يكن لي عليه سلطان و لا حجة و لا برهان

{ **وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** } و لكن كان في الضلال البعيد فهو الذي ضل وأبعد عن الحق باختياره

كما قال في الآية الأخرى:

{ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ**

سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ } [إبراهيم: 22] { الآية **27**

قال الله تعالى مجيبا لاختصامهم: { **قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ** } أى: لا فائدة في اختصامكم عندي

{ **وَالْحَالِ أَنِّي** } وقد قدمت إليكم بالوعيد { **جاءتكم رسلي بالآيات البينات و الحجج الواضحات**

و البراهين الساطعات فقامت عليكم حجتى و انقطعت حجتكم و قدمتم علي بما أسلفتم من الأعمال التي
وجب جزاؤها 28

{ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ } أي: لا يمكن أن يخلف ما قاله الله و أخبر به لأنه لا أصدق من الله قила و لا أصدق حديثا.

{ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ } بل أجزيهم بما عملوا من خير و شر فلا يزداد في سيئاتهم و لا ينقص من حسناتهم 29

ثواب المؤمنين و
صفاتهم 31-35

يقول تعالى مخوفاً لعباده: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ} و ذلك من كثرة ما ألقى فيها

{وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} لا تزال تطلب الزيادة من المجرمين العاصين غضباً لربها و غيظاً على الكافرين.

و قد وعدها الله مألها

*البخارى 485 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ

تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَ النَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَ الْمُتَجَبَّرِينَ

وَ قَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضَعَفَاءُ النَّاسِ وَ سَقَطُهُمْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ:

أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي

وَ قَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا مَلُؤَهَا

فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِئِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلُهُ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ فَهَذَا كَ تَمْتَلِئِي وَ يَزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ

وَ لَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا

وَ أَمَّا الْجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا 30

{ وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ } قربت بحيث تشاهد و ينظر ما فيها من النعيم المقيم والحبرة والسرور و إنما أزلفت و قربت

{ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ } لأجل المتقين لربهم التاركين للشرك صغيره و كبيره الممثلين لأوامر ربهم المنقادين له 31

و يقال لهم على وجه التهنية: { هَذَا مَا تُوعَدُونَ }

أي: هذه الجنة وما فيها مما تشتهيهِ الأنفس و تلذ الأعين هي التي وعد الله

{ لِكُلِّ آوَابٍ } أي: رجاء إلى الله في جميع الأوقات بذكره و حبه و الاستعانة به و دعائه و خوفه و رجائه.

{ حَفِيفٌ }

يحافظ على ما أمر الله به بامتناله على وجه الإخلاص و الإكمال له على أكمل الوجوه حفيظ لحدوده 32

{ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ } أي: خافه على وجهه :- 1- المعرفة بربه 2- و الرجاء لرحمته

و لازم على خشية الله في حال غيبه أي: مغيبه عن أعين الناس و هذه هي الخشية الحقيقية

و أما خشيته في حال نظر الناس و حضورهم فقد تكون رياء و سمعة فلا تدل على الخشية

و إنما الخشية النافعة خشية الله في الغيب و الشهادة

و يحتمل أن المراد بخشية الله بالغيب كالمراد بالإيمان بالغيب

و أن هذا مقابل للشهادة حيث يكون الإيمان و الخشية ضروريًا لا اختياريًا حيث يعاين العذاب و تأتي آيات الله وهذا هو الظاهر .

*البخارى-6806 عن ابى هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: وَ رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ

{وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} أى: وصفه الإنابة إلى مولاه و انجذاب دواعيه إلى مرضيه **33**

و يقال لهؤلاء الأتقياء الأبرار: **{ادْخُلُوا بِسَلَامٍ}**

دخولا مقرونا بالسلامة من الآفات و الشرور مأمونا فيه جميع مكاره الأمور فلا انقطاع لنعيمهم و لا كدر و لا تنغيص

{ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ} الذي لا زوال له و لا موت و لا شيء من المكدرات **34**

{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا} كل ما تعلق به مشيئتهم فهو حاصل فيها

{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و أعظم ذلك و أجله و أفضله:-النظر إلى وجه الله الكريم و التمتع بسماع كلامه و التمتع بقربه نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.

*ابن ماجه 187-عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ:

{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: 26] وَقَالَ:

" إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٌ:-

يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ فَيَقُولُونَ: وَ مَا هُوَ؟

أَلَمْ يَنْقُلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا وَ يُبَيِّضُ وُجُوهَنَا وَ يُدْخِلُنَا الْجَنَّةَ وَ يُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟

قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَ اللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ-يَعْنِي إِلَيْهِ-

وَ لَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ **35**

- وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾
 فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
 وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾
 يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾
 يَوْمَ تَشَقُّو^ط الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ^ط
 وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سورة الذاريات- مكية- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَالْحَمِلَاتِ وَقَرَأَ ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا ﴿٤﴾
 إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعَةُ ﴿٦﴾

يقول تعالى -مخوفًا للمشركين المكذبين للرسول:- {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا}

أى: أمما كثيرة هم أشد من هؤلاء بطشًا- أى: قوة وآثارًا في الأرض.

و لهذا قال: {فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ} فطوفوا في البلاد و سلكوا كل طريق طلبا للهرب من الهلاك

تهديد لمنكرى البعث

و توجيهات للرسول 36-45

ف- {هَلْ مِنْ مَحِيصٍ} لا مفر لهم من عذاب الله حين نزل بهم 36

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} عظيم حي ذلك زكى

{أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ} وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله و استمعها استماعًا يسترشد به و قلبه

{شَهِيدٌ} حاضر فهذا له أيضا ذكرى و موعظة و شفاء و هدى 37

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} هذا إخبار منه تعالى عن قدرته العظيمة و مشيئته النافذة

{وَمَا يَبْنِيهِمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} أولها يوم الأحد و آخرها يوم الجمعة

{وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} من غير تعب و لا نصب و لا لغوب و لا إعياء 38

{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} من الذم لك و التكذيب بما جئت به

{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}

و اشتغل عنهم و اله بطاعة ربك و تسبيحه أول النهار و آخره و في أوقات الليل و أدبار الصلوات.
فإن ذكر الله تعالى مسل للنفس مؤنس لها مهون للصبر.

{وَمِنْ أَيْلٍ فَسَبِّحْهُ وَأَذْبَرَ الشُّجُورِ} قيل هو التسبيح بعد الصلاة 40

{وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ} بقلبك نداء المنادي و هو إسرائيل عليه السلام حين ينفخ في الصور

{مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ} من الخلق 41

{يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ} أى: كل الخلائق يسمعون تلك الصيحة المزعجة المهولة

{بِالْحَقِّ} الذي لا شك فيه و لا امتراء **{ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ}** من القبور الذي انفرد به القادر على كل شيء 42

و لهذا قال: **{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ}** 43 **{يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ}** أى: عن الأموات

{عَنْهُمْ سِرَاعًا} أى: يسرعون لإجابة الداعي لهم إلى موقف القيامة

*مسلم -2278 أبو هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ»

{ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} أى: هين على الله يسير لا تعب فيه و لا كلفة

كقوله **{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْجٍ بِالْبَصَرِ}** [القمر: 50]

{مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [لقمان: 28]

{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} لك مما يحزنك من الأذى

{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} أى: مسلط عليهم **{إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}**

و لهذا قال: **{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}**

و التذكير:- هو تذكير ما تقرر في العقول والفطر من:-

1-محبة الخير و إيثاره و فعله 2-و من بغض الشر و مجانبته

و إنما يتذكر بالتذكير من يخاف وعيد الله و أما من لم يخف الوعيد و لم يؤمن به

51-تفسير سورة الذاريات-و هي مكية-

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: أَنَّهُ صَعِدَ مِنْبَرِ الْخُوفَةِ فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا عَنْ سُنَّةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِذَلِكَ قَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكُوَّاءِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا} ؟

اثبات البعث و عاقبة منكبيه 14-1

قَالَ: الرِّيحُ قَالَ: {فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} ؟ قَالَ: السَّحَابُ.

قَالَ: {فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا} ؟ قَالَ: السُّفُنُ. قَالَ: {فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا} ؟ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ رواه الطبري في تفسيره

هذا قسم من الله الصادق في قوله بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح و المنافع ما جعل على أن وعده صدق و أن الدين الذي هو يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال لواقع لا محالة ما له من دافع فإذا أخبر به الصادق العظيم و أقسم عليه و أقام الأدلة والبراهين عليه فلم يكذب به المكذبون و يعرض عن العمل له العاملون.

{وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا} و المراد بالذاريات: هي الرياح التي تذرروا في هبوبها- أقسم الله تعالى بالرياح المثيرات للتراب **{ذُرُوءًا}** بليتها و لطفها و قوتها و إزعاجها.

{فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} السحاب تحمل الماء الكثير الذي ينفع الله به البلاد و العباد-الوقر:الحمل الثقيل

{فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا} النجوم التي تجري على وجه اليسر و السهولة

1-فتتزين بها السماوات2-و يهتدى بها في ظلمات البر و البحر 3-و ينتفع بالاعتبار بها.

الجاريات:السحب-فالسفن التي تجري في البحار جرياً ذا يسر و سهولة

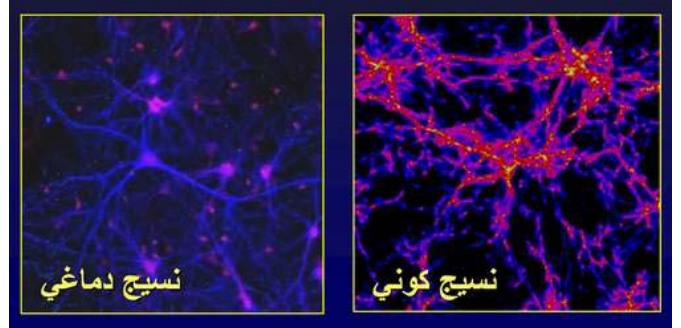
{فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا} الملائكة التي تقسم الأمر و تدبره بإذن الله فكل منهم قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا و أمور الآخرة لا يتعدى ما قدر له و ما حد و رسم و لا ينقص منه.

{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ} إن الذي توعدون به -أيها الناس- من البعث و الحساب لكائن حق يقين

{وَالَّذِينَ لَوْفِعُوا} و إن الحساب و الثواب على الأعمال لكائن لا محالة.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ ﴿٩﴾ قُلِ الْخَرَصُونَ ﴿١٠﴾
 الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴿١٣﴾
 ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ
 إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾
 وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾
 وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قُورَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾
 فَرَآغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
 قَالُوا لَا تَخَفْ بَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَالِمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾
 قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) الطرائق الحسنة التي تشبه حبك الرمال و مياه الغدران حين يحركها النسيم 7



{إِنَّكُمْ} أيها المكذبون لمحمد ﷺ {لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ} منكم من يقول ساحر و منكم من يقول كاهن 8

و منكم من يقول مجنون و منكم من يقول كاذب و منكم من يقول شاعر

{يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ} يصرف (عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ) صُرفَ عن الإيمان و انصرف قلبه عن أدلة الله اليقينية و براهينه

و اختلاف قولهم دليل على فساد و بطلانه 9

{قُلِ} لعن- قاتل الله (الْخَرَصُونَ) الذين كذبوا على الله و جحدوا آياته و خاضوا بالباطل ليدحضوا به الحق 10

{الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ} لاهون غافلون 11

{يَسْأَلُونَ} على وجه الشك و التكذيب-و العناد و الاستبعاد

(أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ) أي: متى يبعثون مستبعدين لذلك فلا تسأل عن حالهم و سوء مآلهم **12**

{يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنَّنُونَ}

يعذبون بسبب ما انطوا عليه من خبث الباطن و الظاهر كما يفتن الذهب علي النار **13**

و يقال لهم {ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ} العذاب و النار الذي هو أثر ما افتنوا به من الابتلاء الذي صيرهم إلى الكفر

{هَذَا} العذاب الذي وصلتكم إليه هو {الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ}

فالآن تمتعوا بأنواع العقاب و النكال و السلاسل و الأغلال و السخط و الوبال **14**

يقول تعالى في ذكر ثواب المتقين و أعمالهم التي أوصلتهم إلى ذلك الجزاء:-

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ} أي: الذين كانت التقوى شعارهم و طاعة الله دثارهم {فِي جَنَّاتٍ}

مشمولات على جميع أصناف الأشجار و الفواكه التي يوجد لها نظير في الدنيا و التي لا يوجد لها نظير

مما لم تنظر العيون إلى مثلهو لم تسمع الآذانو لم يخطر على قلوب العباد

{وَعِيُونٍ} سارحة تشرب منها تلك البساتين و يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرًا **15**

جزاء المتقين و اوصافهم 15-19

{ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ}

أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم من جميع أصناف النعيم فأخذوا ذلك راضين به قد قرت به أعينهم و فرحت به نفوسهم و لم يطلبوا منه بدلا و لا ييغون عنه حولا و كل قد ناله من النعيم ما لا يطلب عليه المزيد

{إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ} الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم {مُحْسِنِينَ}

و هذا شامل لإحسانهم :-

1-عبادة ربهم بأن يعبدوه كأنهم يرونه فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم

2-و للإحسان إلى عباد الله ببذل النفع و الإحسان من مال أو علم أو جاه أو نصيحة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو غير ذلك من وجوه الإحسان و طرق الخيرات.

حتى إنه يدخل في ذلك الإحسان بالقول و الكلام اللين و الإحسان إلى المماليك و البهائم المملوكة و غير المملوكة

و من أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق ((صلاة الليل)) الدالة على الإخلاص و تواطؤ القلب و اللسان **16**

و لهذا قال: {كَانُوا قَلِيلًا} المحسنون

{مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} كان هجوعهم أي: نومهم بالليل قليلا

و أما أكثر الليل:- فإنهم قانتون لربهم ما بين صلاة و قراءة و ذكر و دعاء و تضرع **17**

{وَبِالْأَسْحَارِ} التي هي قبيل الفجر {هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} الله تعالى فمدوا صلاتهم إلى السحر

ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل يستغفرون الله تعالى استغفار المذنب لذنبه و للاستغفار بالأسحار فضيلة

و خصيصة ليست لغيره كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان و الطاعة: {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} عمران 17

مسلم 758 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ:- هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟

هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ **18**

{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ} واجب و مستحب

{لِلسَّائِلِ} للمحتاجين الذين يطلبون من الناس {وَالْمَحْرُومِ} الذين لا يطلبون منهم

البخاري -1479 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَ اللَّقْمَتَانِ وَ التَّمْرَةُ وَ التَّمْرَتَانِ وَ لَكِنَّ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنًى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ بِهِ

آيات الله و عظمة قدرته 20-23

فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَ لَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ» **19**

يقول تعالى -داعياً عباده إلى التفكير و الاعتبار:- {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ}

و ذلك شامل لنفس الأرض وما فيها من جبال و بحار و أنهار و أشجار و نبات تدل المتفكر فيها المتأمل

لمعانيها على عظمة خالقها وسعة سلطانه و عظيم إحسانه وإحاطة علمه بالظواهر والبواطن.

و كذلك في نفس العبد من العبر و الحكمة و الرحمة ما يدل على أن الله وحده الأحد الفرد الصمد

و أنه لم يخلق الخلق سدى **20**

{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} مَنْ تَفَكَّرَ فِي خَلْقِ نَفْسِهِ عَرَفَ أَنَّهُ إِفْمًا خَلِقَ وَ لُيِّنَتْ مَفَاصِلُهُ لِلْعِبَادَةِ **21**

{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ} أي مادة رزقكم من الأمطار و صنوف الأقدار الرزق الديري و الدنيوي

{وَمَا تُوعَدُونَ} من الجزاء في الدنيا والآخرة فإنه ينزل من عند الله كسائر الأقدار.

فلما بين الآيات و نبه عليها تنبيهاً ينتبه به الذكي اللبيب أقسم تعالى على أن وعده وجزاءه حق

و شبه ذلك بأظهر الأشياء لنا و هو النطق **22**

فقال: {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ}

فكما لا تشكون في نطقكم فكذلك لا ينبغي الشك في البعث بعد الموت **23**

قصة ضيف ابراهيم 24-37

{هَلْ أُنَبِّئُكَ} أما جاءك {حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ}

و نبأهم الغريب العجيب و هم: الملائكة الذين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط

و أمرهم بالمرور على إبراهيم فجاؤوه في صورة أضياف **24**

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ {مجيئاً لهم

{سَلَامٌ} عليكم -فرده افضل من التسليم كقوله:-

{وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا [النساء: 86]

{قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} أنتم قوم منكرون-جبريل و ميكائيل و اسرافيل قدموا في صورة شبان حسان عليهم مهابة

عظيمة لهذا قال {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} فأحب أن تعرفوني بأنفسكم و لم يعرفهم إلا بعد ذلك **25**

{فَرَّاغٌ} ذهب سريعاً في خفية ليحضر لهم قراهم {إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ} مشوي علي الرضف **26**

{فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ} ادناهم منهم و عرض عليهم الأكل

و هَذِهِ الْآيَةُ انْتِظَمَتْ آدَابُ الضِّيَافَةِ:

1- فَإِنَّهُ جَاءَ بِطَعَامِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ بِسُرْعَةٍ 2- وَ لَمْ يَمْتَنِّ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا فَقَالَ:- نَأْتِيكُمْ بِطَعَامٍ؟

3- بَلْ جَاءَ بِهِ بِسُرْعَةٍ وَ خَفَاءٍ وَ أَنَّى بِأَفْضَلٍ مَا وَجَدَ مِنْ مَالِهِ وَ هُوَ عِجْلٌ فَتَنَّى سَمِينٌ مَشْوًى

4- فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ لَمْ يَضَعْهُ وَ قَالَ: اقْتَرِبُوا بَلْ وَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

5- وَ لَمْ يَأْمُرْهُمْ أَمْرًا يَشُقُّ عَلَى سَامِعِهِ بِصِغَةِ الْجَزْمِ بَلْ قَالَ: {قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} عَلَى سَبِيلِ الْعَرْضِ وَ التَّلَطُّفِ

كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ الْيَوْمَ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتَفَضَّلَ وَ تُحْسِنَ وَ تَتَصَدَّقَ فَافْعَلْ

تلطف في العبارة و عرض حسن حين رأى أيديهم لا تصل إليه **27**

{فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} أحسَّ في نفسه خوفاً منهم

{قَالُوا لَا تَخَفْ} و أخبروه بما جاؤوا له

{وَبَشِّرُوهُ} بأن زوجته «سَارَة» ستلد له ولداً و هو: إسحاق عليه السلام [هود: 71] البشارة له هـ ي بشارة لها

فلما سمعت المرأة البشارة {بِعَلَمٍ عَلِيمٍ} **28**

{فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهَا} {فرحة مستبشرة} {فِي صَرْقٍ} صحيحة-ورنة- و هي قولها [يا ويلي]

{فَصَكَّتْ وَجْهَهَا} و هذا من جنس ما يجري من النساء عند السرور و نحوه من الأقوال

و الأفعال المخالفة للطبيعة و العادة-لطمت تعجبا كما تتعجب النساء في الامر الغريب

{وَقَالَتْ مَجُوزٌ عَقِيمٌ} {أنى لى الولد و أنا عجوز

1- قد بلغت من السن ما لا تلد معه النساء و مع ذلك 2- فأنا عقيم غير صالح رحمي للولادة أصلا

و قد كنت في حال الصبا لا أحبل-فثم مانعان كل منهما مانع من الولد

3-و قد ذكرت المانع الثالث في سورة هود بقولها: {وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ} [هود: 72] **29**

{قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ^ط} الله الذي قدر ذلك و أمضاه فلا عجب في قدرة الله تعالى

{إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ} الذي يضع الأشياء مواضعها- حكيم في أقواله و أفعاله

(الْعَلِيمُ) بما تستحقون من الكرامة -فسلموا لحكمه و اشكروه على نعمته **30**